الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي بالوادي

معهد العلوم الاجتماعية و الإنسانية قسم : التاريخ

الثورات الشعبية في الأوراس

1844 - 1916

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة ليسانس في التاريخ

إعداد الطالبة :

نادية كنانة

إشراف الأستاذ :

مختار هواري

لجنة المناقشة :

01 - الطاهر سبقاق رئيسا

02 - مختار هواري مشرفا و مقررا

03 - عبد القادر كركار عضوا مناقشا

الموسم الجامعي : 1432 - 1433 هـ / 2011 - 2012 م

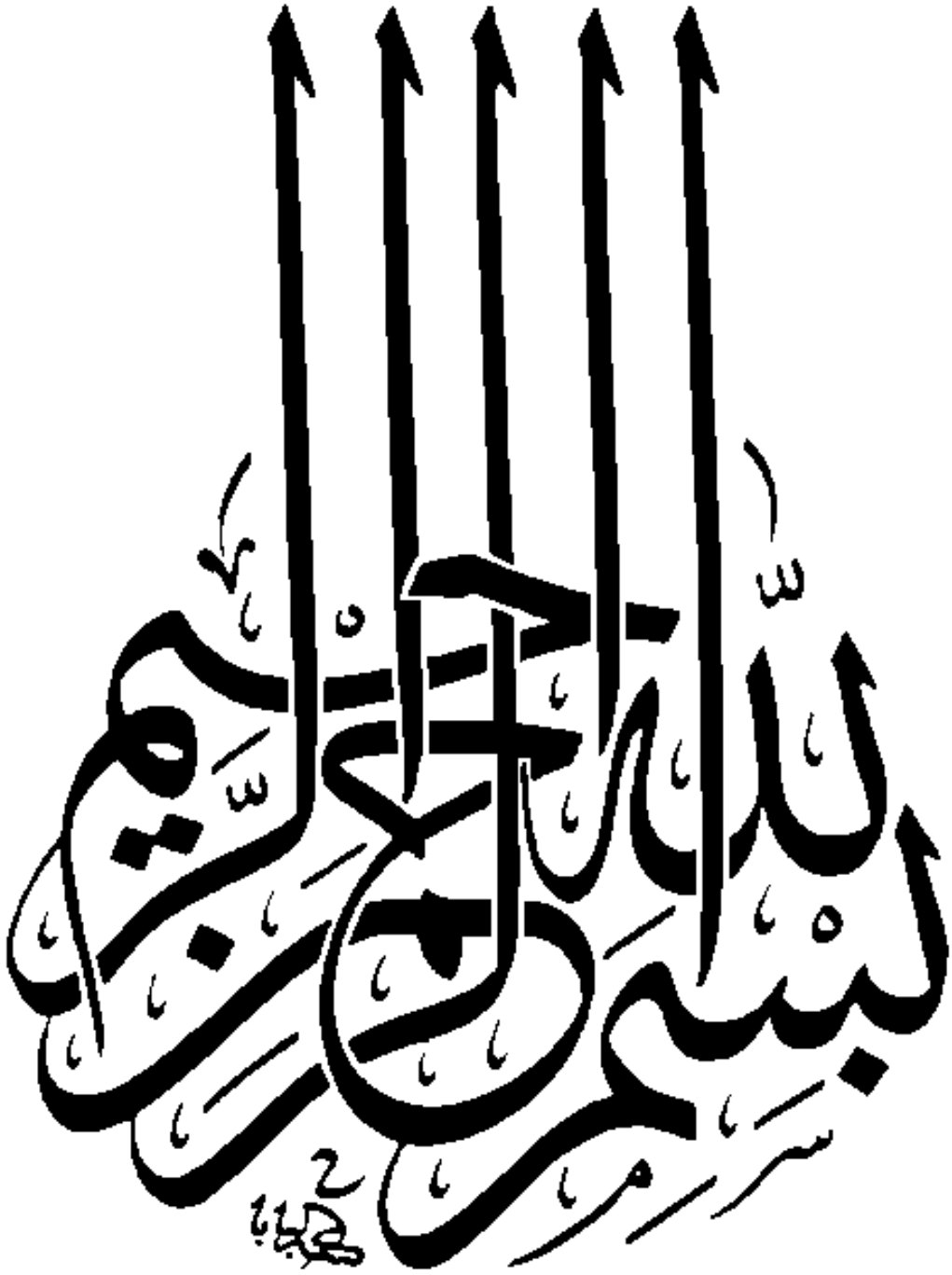
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي عملي هذا إلى روح أبي الغالي العزيز الذي رحل دون أن يرى ثمرة جهده و يرى نجاحي، إلى الذي أحب الجزائر و مات و في قلبه حب الجزائر بعد أن غرس فينا حب الجزائر.

إلى من قاسمتني حياتي و كانت لي العون على تحقيق أمنياتي، و سعدت لسعادتي و عانت لمعاناتي أمي الحبيبة.

إلى الشموع التي تضيء دربي و تنير طريقي تقاسمني الحياة أبنائي الأعزاء: إيمان، أسماء، رياض وزوجي: عياشي الذي يدعمني دائما.

إلى من كانوا يؤمنون بقدراتي و عشت في كنفهم أحلى أيامي إخوتي و أخواتي: عزالدين-عائشة- نوال- دليلة- نفيسة- بدر الدين- جمال-نبيل- مراد.

إلى الأعزاء: رضا- نور الدين- مريم- عليلو و الكتكوتة لميس.

كما أهدي عملي المتواضع هذا إلى كل زملائي في العمل في مدرسة نعموش صالح الطاهر

و إلى مديري بوغزالة المولدي الذي ساعدني ووقف إلى جانبي.

والى الدفعة (أ) الفوج الأول كل واحد باسمه و خاصة حليمة.

شكر وعرفان

الحمد و الشكر لله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد الذي سدد خطانا و أنار سبيلنا،

و يسر لنا إتمام هذا العمل و رزقنا الصحة و العافية قبل و بعد انجازه ووفقنا في المشوار الدراسي ومن علينا بعونه و توفيقه،

ثم الصلاة و السلام على النبي محمد و على اله و صحبه أجمعين.

أتقدم بالشكر البالغ إلى: الأستاذ المشرف: هواري مختار اعترافا بالجميل و عرفانا بحسن الصنيع.

كما أتقدم بكل آيات الشكر و التقدير إلى أخي عز الدين و أختي نوال الذين قدما لي كل العون و المساعدة المادية.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة جامعة الوادي و إلى كل العاملين في متحف المجاهد بخنشلة الذين قدموا لي يد المساعدة.

مقدمة:

منذ أن وطأت أقدام الاستعمار أرض الجزائر وهو في توسع إلى أن وصل إلى آخر نقطة ببلادنا.

ولم يستطع فرض هذه السيطرة بسهولة لأنه واجه مقاومة عنيفة في كل منطقة حل بها، وما الثورات الشعبية التي خاضها الجزائريون خلال القرن التاسع عشر والتي يزيد عددها عن 160 مقاومة شملت معظم مناطق الوطن واستغرقت حتى بداية القرن العشرين.

بعض هذه المقاومات قادها شيوخ قبائل وبعضها قادها شيوخ زوايا ولعبت فيها الزاوية الرحمانية دورا بارزا. ولا تخلو منطقة الأوراس التي هي مقصد دراستنا من هذه الثورات والانتفاضات التي ضربت الرقم القياسي من حيث العدد والمجال لا يسع للتحدث عنها جميعها، لأننا حددنا بداية الإطار الزماني من 1844 تاريخ الحملات على الأوراس واحتلاله إلى ثورة 1916 مطلع القرن العشرين .

ونظرا لأهمية المنطقة عبر تاريخ الجزائر القديم والحديث و المعاصر ارتأينا أن نخصها بهذه الدراسة فكان موضوعنا حاملا للعنوان الآتي:

المقاومات الشعبية في منطقة الأوراس :(من 1844 إلى 1916م)

وسبب اختياري لهذا الموضوع هو رغبتي في فتح مجال أكبر لسكان منطقة الصحراء بالتعرف أكثر على الأوراس لقلة هذه الدراسات في مكتبتنا واختيار مقاومات الأوراسيين في القرن التاسع عشر حتى لا نربط المنطقة بثورة أول نوفمبر فقط وإظهار آثارها عليهم ومن خلالها نبين واقع معاناة فئة من الجزائريين في هذه الفترة ، ونفتح أفاقا أخرى للبحث والدراسة لجميع مناطق بلادنا.

والإشكالية المطروحة للموضوع كالآتي :

- ***ماهي أهم المقاومات الشعبية في الأوراس ، وكيف كانت تأثيراتها على حياة المنطقة ؟***

وما هي أسباب فشلها؟

ومن خلال هذه الإشكالية يمكن أن نطرح إشكاليات جزئية:

- ***كيف تمت عملية احتلال الأوراس ؟***
- ***وكيف كانت ردود أفعال السكان تجاه همجية المستعمر ؟***
- ***وماهي التأثيرات السلبية التي خلفها الاحتلال على سكان الأوراس ؟***

واتبعنا المنهج التاريخي السردي لسرد الحقائق والوصفي لأهم الآثـــار المترتبة عن عمليــة الاحتلال.

وللإجابـة عـن الإشكاليــات المطروحــة اعتمدنــا الخطــة التاليــة:

قسمنا الموضوع إلى فصلين :

. ***الفصل الأول*** : ويتحدث عن أهم الثورات الشعبية في الأوراس من 1844 إلى 1916 ويشتمـل على خمس مباحث يتضمن المبحث الأول :بداية الغزو وظهور المقاومة إلى الاحتلال التام ، أما المبحـث الثاني فيتحدث عن ثورة 1849 ودوافع قيامها وأهم نتائجها أما المبحث الثالث فيصف ثـورة 1859 أسباب قيامها ومقاومتـها ونهاية الثورة مع أهم النتائج المبحث الرابع يتحدث عن انتفاضة الأوراس لعام 1879 التعريف بصاحبها وأسباب الانتفاضة واندلاعـها و العقوبـات الصارمة ضـد الثوار والمبحث الأخير يتحدث عن ثورة 1916 وأسباب الثورة وطرق المقاومة بعد تغلغل الاستعمار في أعماق الأوراس واهم العقوبات على السكان والمنتفضين .

. ***الفصل الثاني***: ويتضمن ثلاث مباحث مهمة تشكل الآثار المترتبة عن الاحتلال من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والإدارية وأهم الممارسات الاستعمارية ضد السكان المشاركين وغير المشاركين في الثورات الشعبية.

ولقد اعتمدنا في ذلك على أهم مجموعة من المراجع والمصادر التي تناولت الأوراس بالدراسة ونخص منها: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في جزئين (1837-1939) ويعتبر أهم مرجع تناول موضوع الأوراس بشكل موسع لصاحبه عبد الحميد زوزو ونفسه لثورة الأوراس 1879.

إلى جانب كتاب تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من (1837-1954)من إنتاج جمعية أول نوفمبر بباتنة ونفسه في ثورة الأوراس 1916 إلى جانب كتاب : الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919) لشارل روبير آجرون والذي استخرجنا منه القوانين والمراسيم التي سنتها فرنسا بعد الاحتلال.

أما كتاب سياسة التسلط الاستعمارية والحركة الوطنية فتحصلنا منه على ردود الفعل الوطنية تجاه السياسة العسكرية والسياسية الاستعمارية وكتاب : نصوص و وثائق من تاريخ الجزائر المعاصر (1839-1900) على أهم الوثائق الوطنية والاستعمارية

والتي استعملت كملاحق للدراسة والكتاب الأجنبي يروي الأحداث من أفواه أصحابها:

ALDOLPHE JOURDAN : REVNUE AFRICAINE

HENRI GARROT : Histoire générale de l'Algérie

أما الصعوبات التي واجهتني هو توسع الموضوع وطول الفترة الزمنية وتشابه المعلومات والأحداث وقلة الدراسة لمنطقة الأوراس في القرن 19، إلى جانب أمور خاصة ولكن رغم ذلك واجهت الصعوبات وتوصلت في الأخير إلـى انجاز العـــمل الذي آمل أن يكون فيه إفادة لكل من يريد الإطلاع على أحداث الأوراس وجرائم الاستعمار في الجزائر عامة والمنطقة خاصة والذي مازالت آثارها إلى اليوم في القرى والدواوير.

الفصل الأول

الفصل الأول:

أهم المقاومات الشعبية

1916-1844

المبحث الأول:

بداية الإحتلال والمقاومة 1844

أ/ بداية الغزو

ب/ الحملة الأولى: اقتحام الأوراس من الجنوب

ج/ الحملة الثانية : اقتحام الأوراس من الشمال

الفصل الأول :

أهم المقاومات الشعبية 1844-1916

بداية الاحتلال والمقاومة 1844

كانت منطقة الأوراس و لا تزال معقلا من معاقل المقاومة البربرية ضد الغزاة المستعمرين من الرومان والوندال والبيزنطيين، وكانت جبالها أمنع معتصـم لقبائلها التي تقطن أرجاءها، وتعيش فيها حياة البدو والرحل، ولم تتمكن مختلف الموجات اللإستعمارية التي تعرضت لها المنطقة من إخضاع الأوراس.

ولا يمكن الحديث عن الغزو الفرنسي للأوراس دون الحديث عن مقاومة أحمد باي الـذي صنع جـزءا من ملحمة مقاومة أهل الأوراس بعد سقوط قسنطـينة ولجـوءه إليـها حتى يمكن الربط بين لجوءه واحتلال الأوراس حيث كان قدومه أحد الأسباب المباشرة التي عجلت باندفاع قوات الاحتلال إلى هذه المنطقة المحصنة طبيعيا [1]

« وبحلول احمد باي إلى الأوراس أصبح مطاردا من مكان إلى آخر فرحل إلى النمامشة بالأوراس الشرقي ثم إلى وادي ريغ ثم إلى الحضنة، ومنها إلى جبال أولاد سلطان بالأوراس الغربي خلال سنة 1843 وقد مكث هناك أكثر من سنة ونصف»[2]

---

(1) مسعود عثماني، أوراس الكرامة أمجاد، أنجاد، دار الهدى الجزائر 2008، ص:52

(2) نفسه، ص:53

وحلوله وسط قبيلة أولاد سلطان بالأوراس كان بعد أن أنهكته الحروب وتوالت عليه النكبات في كل من الزاب الغربي والزاب الشرقي، وكذا الحضنة وبسكرة وبأماكن أخرى[1] وقد شعر الفرنسيون بهذا الخطر فقرروا دخول الأوراس[2]وإخضاعه وتتبع أحمد باي الذي اعتصمبالأوراس وخليفة الأمير عبد القادر« محمد الصغير بن عبد الرحمان بن أحمد بلحاج»وكل من تبعهما من المقاومين .[3]

أقام أحمد باي بقرية منعة [4] عند عائلة ابن عباس صاحب الزاوية القادرية، أما محمد الصغير خليفة الأميرعبد القادر فقد كان نازلا بقرية نارة[5] المقابلة لها وسط عائلة بن حبارة والتي اتخذ كل منهما منها محطة لذخائره ومركزا لمؤو نته.

---

(1) مسعود عثماني، المرجع السابق ص56

(2) الأوراس: تطلق كلمة الأوراس جغرافيا على المنطقة المحصورة بين باتنة وخنشلة شمالا، وخنشلة وزريبة الوادي شرقا، وزريبة الوادي وبسكرة جنوبا، وبسكرة وباتنة غربا بحيث تكون شكلا رباعيا بطول مائة كيلومتر للمضلع الواحد أنظر:جمعية أول نوفمبر في الأوراس، تاريخ الأوراسونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837-1954 دارالشهاب باتنة دط ص: 120.

(3)جمعية أول نوفمبر في الأوراس، المرجع السابق، ص:121.

(4)قرية منعة: تقع على بعد 80 كلم إلى الجنوب الشرقي من مدينة باتنة على الجهة اليمنى لوادي عبدي على سفح الجبل الأزرقنفسه، ص:120.

(5)قرية نارة: تقع ناره على بعد 5 كلم عن الطريق العام لباتنة، منعة بحضن الجبل الأزرق نفسه ص:129.

أ/ بداية الغزو:

وبإقامة أحمد باي عند عائلة ابن عباس ومحمد الصغير عند عائلة إبن حبارة كان من الطبيعي للقوات الفرنسية أن لا تسمح بهذا الاستقرار على هذا المحور الاستراتيجي بين قسنطينة وبسكرة فشعر الفرنسيون إزاء ذلك بقلق كبير لهذا الوضع «وبعد الاستيلاء على قسنطينة 1837، كان لابد من احتلال وإخضاع الجنوب الشرقي لقسنطينة ومن ضمنه الأوراس الذي اعتصم به احمد باي [1]»[2]

فقرروا دخول الأوراس وتتبع هذين الشخصين بجيش كبير قاده عدة جنرالات على رأسهم الجنرال بودو (Bedeau) والعقيد ماك ماهون (Macmahon) والجنرال لوفاسور(Levasseur) وتوجهت هذه القوات من قسنطينة إلى الجنوب الشرقي بقيادة الدوق (دومال)[3] (Duc Daumale) وفي طريقها واجهت مقاومة عنيفة من سكان المناطق التي اجتازتها و وصلت إلى باتنة في 4 فيفري 1844.

وكونت معسكر لقواتها كمرحلة أولى و أشرف على تنظيمه العقيد بوتافوكو وواصلت الحملة زحفها جنوبا عبر القنطرة إلى بسكرة وتم إحتلالها في 4 مارس من نفس السنة[4].

---

(1)أحمد باي : آخر بايات قسنطينة كان عهده من 1826 الى1837 .

(2)مسعود عثماني المرجع السابق، ص:57

(3)الدوق دومال:ابن الملك لويس فليب كانت فترة حكمه لفرنسا من 1830-1848 أنظر:(جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق ص121)

(4)جمعية أول نوفمبر في الأوراس، المرجع السابق ص121.

ولقد برر «الدوق دومال» أسباب اختياره للمكان في تقرير أرسله إلى الجنرال «بيجو» (Bugeaud) في 9 جوان 1844 ورد فيه مايلى «إن باتنة تمثل ضمان الأمن والاستقرار للبلد وهي قاعدة حصينة لانطلاق العمليات في فترة الحرب ومقرا ممتاز للحكام في فترة السلم و مركز حسن لاستقبال المستوطنين لاحقا »[1] وقررإنشاء معسكرا [2] هناك و أدرك السكان أبعاد الخطة العسكرية و كان ردهم سريعا، و بمجرد الانتهاء من إشغال إقامة المركز انطلقت من 12 إلى 17 فيفري 1844 شن السكان هجوما عليه فأنقض حوالي 200 إلى 300 رجل منهم على المركز و استولوا على جزءه الشمالي [3] ولمحاصرة الأوراس من كل الجوانب و لجس نبض المنطقة قاد في ربيع 1842 والذي كان بداية لتاريخ أو حملة عسكرية فرنسية قادها المقدم «نيقري» (Négrier)على منطقة النمامشة بالأوراس حيث وصل أثناءها إلى مدينة تبسة بعد أن انطلق في رتل عسكري قوامه 3000 رجل من منطقة عين ببوش في 27 ماي من نفس السنة حيث وصل إلى مدينة تبسة في نفس الشهر إلا أنه ومن خلال هذا المسلك الذي اتخذه للوصول إلى هدفه نجده قد تفادى المرور بمنطقة أولاد رشاش حتى لا يقع رتله في كمائن سكان المنطقة [4].

---

(1)عبد الحميد زوزو،الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (1837-1939)ج1، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار هومةو الجزائر، 2005، ص:118.

(2)المعسكر: شيده الكولونيل (Herbillion) عام 1844لإيواء الجند وكان المركز يحتوي على ثكنتين ومستشفى عسكري ومخازن وإسطبلات وكان محاطا بسور وينفتح على أربعةأبواب تعرف باسم باب قسنطينة، باب سطيف، باب بسكرة، باب لامبيز.

(3)عبد الحميد زوزو، نفسه ص: 127.

(4) Adolphe Jourdan, Revnue africaine, Bulletin des travaux de la société historique algérienne N°= 37 , libraire éditeur, benaknoun « Alger », 1893.P5

ب-الحملة الأولى: (محاولة اقتحام الأوراس من الجنوب)

بعد تمركز القوات الفرنسية ببسكرة وتكوين معسكرها بها بلغها أن مقاتلي الأوراس يعدون العدة لمواجهتها.في يوم 15 مارس 1844 خرجت قوات الحملة بقيادة دومال واتجهت إلى البوابة الجنوبية للأوراس قرية مشونش [1] أين يتمركز محمد الصغير بلحاج الذي اختار التمركز بقرية مشونش غير بعيد عن أحمر خدو[2] كانت المواجهة شديدة وضارية،لأنها أول مواجهة مباشرة تخوضها القوات الفرنسية في الأوراس، وقد صمد المجاهدون أمام جحافل الأعداء مدة نصف يوم وقد أصيب أثناء هذا الاحتدام النقيب (إسبيناس) (Espinasse) بإصابات بليغة وتقهقرت بعدها قوات العدو أمام شدة المقاومة وتراجعت إلى بسكرة.[3] وهذا باعتراف الدوق (دومال) في تقريره الموجة إلى المرشال «بيجو» في 1844/03/22 وقد خلد هذه المعركة الفنان (رافيه Raffet) في لوحة فنية تروي وقائع هذه المعركة[4] وقد تزامنت هذه المعركة مع معركة أخرى أشد ضراوة أيام 10-11-12 مارس 1844 والتي شارك فيها 4 آلاف مقاتل بين سهلين وجبلين خاصة قبائل الحراكتة وأولاد سلطان وخاض السكان خلالها معارك ضارية ضد القوات الغازية وكان من بين هؤلاء الرجال المقاومين خيالة يرتادون برانس حمراء واستطاع الفرنسيون رد المقاومين وأسفرت المعركة على 10 قتلى و 27 جريحا في صفوف الطرف الفرنسي بينما ترك المقاومين 50 شهيدا فوق ميدان المعركة وخلص التقرير في النهاية أن العرب حملوا الموتى والجرحى على ظهور البغال ثم اختفوا[5]غير أن ضعف التنظيم وقلة التسليح والتدريب على القتال جعل هجمات هؤلاء المتطوعين قليلة الفعالية ضعيفة التأثير فكانت هاتان المعركتان في كل من مشونش وباتنة أولى المعارك في الأوراس وبداية غزوه من قبل القوات الفرنسية.[6]

(1) قرية مشونش تقع بإحدى سفوح جبال الأوراس العتيدة تقع شمال شرق بسكرة بحوالي 30 كلم **أنظر**: جمعية أول نوفمبر ص:121 .

(2)يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا ، ج1 ، دار الهدى ، 2004 ، ص:180.

(3) جمعية أول نوفمبر في الأوراس ، المرجع السابق ص:122.

(4) نفسه ص ص:120 –121 .

(5) عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق، إبان فترة الاستعمار الفرنسي (1837-1939)ج1 ص:120 .

(6) مسعود عثماني، المر جع السابق،أوراس الكرامة أمجاد، أنجاد، ص:59.

ج-الحملة الثانية (اقتحام الأوراس من الشمال) :

هذا و بعد أن فشلت محاولة اختراق الأوراس من الجنوب ، أعيد النظر في إمكانية تعديل الهجوم لاقتحام الأوراس من جهة الشمال.في 14 فيفري قدم الجنرال بودو تقريرا إلى الوالي العام عن الحالة الأمنية بالأوراس ورد فيه مايلى:

«إن سكان هذه الوديان و الجبال المعارضين للوجود الفرنسي و هم سكان أولاد عبدي، وادي الأبيض، و جبل أحمر خدو و بني وجانة و عليه سأخرج إليهم بقوة من مختلف الأسلحة و أتمركز بـ"لمدينة" قريبا من جبل شليا حتى أستطيع أن أتوجه إلى هؤلاء السكان حينما وجدو حاملا معي مؤونة شهر تقريبا و سأحارب بوحدات خفيفة و سريعة بسبب صعوبة الممرات ... »[1]

«اتجهت هذه القوات بالتنسيق مع قوات أخرى كانت قادمة من سطيف بقيادة الجنرال (سليق Sillegue)إلى أولاد سلطان وقامتا بحركة التفاف خطيرة حول جبال أولاد سلطان لتطويق أحمد باي الذي كان يقيم هناك منذ أكثر من سنة حيث تحركت إلى عين المكان في 21 أفريل 6 ألوية و500حصان، وتمركزت بنقاوس لتحول دون لجوء أحمد باي ومن معه إلى جبال بوطالب الوعرة ولمنع أي تعزيزات من المناطق والقرى المجاورة لمساندته أولفك الحصار عليه»[2].قامت هذه القوات مجتمعة بهجمات منسقة خاطفة ضد أنصار باي بأولاد سلطان بداية من 24 أفريل فتصدى لها هؤلاء و كانت سوء الأحوال الجوية لصالحهم حالت دون تقدم جيش الاحتلال فمكث يراوح مكانه طيلة ثلاثة أيام من 21 – 23 من نفس الشهر، و في يوم 24 على الساعة 8 صباحا اتجه جيش الاحتلال إلى جبال أولاد سلطان و بمجرد وصوله غبر المسالك الوعرة انقض عليه أفراد القبيلة من المقدمة و المؤخرة و الميمنة و الميسرة و كبدوه خسائر جسيمة تراوحت بين 20 إلى 25 قتيل و حوالي 65 إلى 70 جريحا و من بينهم 10 ضباط لقوا حتفهم من بينهم القائد (Gollier).[3]

(1)عبد الحميد زوزو، المر جع السابق ص:122 – 123 .

(2) مسعود عثماني المرجع السابق، ص:59.

(3) عبد الحميد زوزو المرجع السابق ص 122 .

فانسحبوا تاركين ورائهم أمتعتهم و مؤنهم [1] و قد كتب أحمد باي في مذكرته عن هذه المعركة التي شارك فيها بقوات عددها 700 من المشاة و الخيالة فقال :

" قاتلنا مدة يومين ليلا ونهارا بشهامة وحماس جعلني أعتبر هذه المعركة من أعنف المعارك التي شاركت فيها" [2] و لما عجز الفرنسيون في إخضاع أولاد سلطان بقوة السلاح لجأوا إلى أسلوب آخر تمثل في إتلاف إمكانياتهم المعيشية و عبر عن ذلك ضابط فرنسي و هو قائد المنطقة: "أمرنا الرجل بالالتحاق بنا فحلوا في المنطقة و نزلوا وسط الزرع و أنقضت مواشيهم على الحقول كأنها أسراب جراد فتسبب في خسائر لا تعوض"[3] .

و في 1 ماي 1844 قامت القوات الفرنسية بتنظيم نفسها استعدادا لانطلاق حملة الشمال بعد أن فشلت الحملات الأولى و الثانية و الثالثة و أعطيت إشارة التحرك والزحف نحو الهدف (أولاد سلطان) و بعد مسيرة ساعات وصلت الحملة إلى واد سودس قرب تيمقاد و في اليوم الثاني واصلت الحملة زحفها إلى منطقة الشروف ، ثم إلى سهل يابوس و يقال بأن أكثر من 2500 مجاهد كانوا مستعدين لملاقاة الحملة [4]."و واصل جيش الاحتلال سيره يوم 8 ماي باتجاه "البير" ولكنه وجد أولاد سلطان يفكرون في الهجرة ناحية الجنوب، وتراجعوا عن القتال بعد إن اعتلت صحة أحمد باي بصورة مفاجئة فكان لمرضه أثر في نفوس أولاد سلطان و صار الأمر العاجل في نظرهم هو نقل أحمد باي وإخراجه من الطوق الذي آلت إليه البلاد، فقام أنصاره بنقله إلى جبل متللي ثم إلى الضاية فجبل بني فرح ثم إلى منعة حيث تقيم عائلته منذ مدة عند أسرة بن العباس التي تربطها به علاقات خاصة بقي هناك مدة عام "[5] .

---

(1) واد سودس : ينبع من جبل بلعشير و يمر عبر مريال ، إلى سيدي معنصر و تيمقاد إلى تكاباوت حيث يلتقي بواد الطاقة ليصب في حوض الشمرة أنظر:جمعية أول نوفمبر ص 123 .

(2)الحاج أحمد باي، مذكرات الحاج أحمد باي، ترجمة الدكتور العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر /ط2، 1981، ص:84 .

(3)عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص:123 .

(3)إنتاج جمعية أول نوفمبر في الأوراس ، المرجع السابق، ص:123 .

(4)يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين 19 – 20 ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، ط2، ص:79 .

(5)عبد الحميد زوزو،المرجع السابق، ص 123.

وبمرور المقاومة بهذا الظرف الحرج استغلت الخيالة التابعة لابن قانة بهذا الظرف وانطلقت لسد الطريق أمام أولاد سلطان، وفي نفس الوقت تمكنت كتيبتان من الجيش الفرنسي من اختراق المنطقة الجبلية وملاحقة السكان بعد ضعف المقاومة حيث إلتجأوا إلى المغارات بثرواتهم وقطعانهم فتم قتل 12 شخصا في مغارة واحدة وذلك بشهادة "الدوق دومال"وغنموا أمتعة معتبرة وقطعان الماشية والبغال والجمال ورجعوا إلى مركزهم وفي حين أقدم بن قانة[1] على نهب ما احتوته المخازن من الحبوب[2].

وفي نفس هذه الظروف الصعبة التي كانت تمر بها المقاومة الأوراسية في شهر ماي أراد محمد الصغير بلحاج خليفة الأمير عبد القادر والذي انسحب من قبل بدون قتال إلى بسكرة والذي خاض معركة مشونش أن يقوم بمكيدة للحامية الفرنسية بهجوم مباغت ليلة 12-13 ماي 1844 حيث أمر سرية من جنوده بالنزول إلى بسكرة والإدعاء بأنهم فروا من القوات الموالية له، وراحوا ينشرون أخبارا توحي للناس بعداوتهم له ولما بلغ عددهم 25 رجلا بعثوا إليه بتمام الخطة وإمكانية قيامهم بالهجوم المباغت على الحامية فلما وصل الليل فتحوا له الباب وتمكن جنوده من القضاء على الحامية كلها ما عدا الضابط"بيليس" الذي فر إلى طولقة واحتمى بشيخها وبذلك استعاد خليفة الأمير عبد القادر قبضته على بسكرة في الوقت الذي كان فيه الجيش منشغلا بمواجهة سكان جبل بلزمة[3].

---

(1)بوعزيز بن قانة –خال أحمد باي- اختار العمالة طواعية وإ نظم للفرنسيين فعين شيخا للعرب على الزاب الغربي منذ 18جانفي1839 أنظر: مسعود عثماني المرجع السابق، أوراس الكرامة، أمجاد وأنجاد، ص: 56.

(2)عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص:124.

(3)عثماني مسعود، المرجع السابق، ص:62.

حل القائد الأعلى للمنطقة بمدينة باتنة يوم 14 من نفس الشهر وترك على بلزمة كتيبتين من الفرسان تحت قيادة الكولونيل (بارتونLe Berton)وأمره بجمع الضرائب على السكان وأخذ ببعض السكان كرهائن [1] وحل ببسكرة يوم 18 من نفس الشهر على رأس 5 كتائب بغرض ترهيب السكان في منطقة الزاب والانتقام من السكان الذين ساندوا سي صغير بلحاج وتم تعيين (توماس Thomas) كقائد على بسكرة. وبدأ الوهن يلحق بالمقاومة بعد أن كانت في وقت من الأوقات قد اكتسبت طابعا شموليا[2].

لقد توجت عمليات الدوق دومال بقمع المقاومة في الجنوب الشرقي وذلك لعدة عوامل:

- مرض أحمد باي
- فضاعة التدمير والتخريب الذي سلط على السكان
- التحاق بعض العائلات العريقة بفرنسا كعائلة بن قانة، أولاد ساولة، وأولاد سيدي ناجي وبن يفرن.

وبعد إخضاع هذه المناطق في الجنوب الشرقي من الأوراس انتقلت حملة (بودو Bedeau)[4] في ربيع العام الموالي وذلك يوم 01 ماي 1845 وبلغ تعدادها (5080 مقاتل) ضد جبال الأوراس حيث كان يقيم أحمد باي في"منعة" وصغير بلحاج في"نارة" وفي مغرق قام الجنرال بودو بحملة استطلاعية في كامل الأوراس في محاولة لكشف أسرار المنطقة حيث مر بعديد من مدن وقرى الأوراس. بعد أن وضع حامية في لمدينة بالقرب من شلية، زار الشمرة، تكوت، ونزل بجبل ششار والولجة ثم عاد إلى باتنة من جبل تبردقة بابار وخنشلة. الحملة عادت إلى باتنة في نهاية جانفي[5].

---

(1) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص:62.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص:125.

(3) نفسه ص:126.

(4) حملة (بودو Bedeau)تكونت حملة الجنرال ّبوّدو ّ على الأوراس عام 1845 من: 6 فيالق وسيرنان من الخيالة و5 أفواج من الرماة المدفعية الميدانية ومفرزة للهندسة الميدانية 70 بغلا لحمل المرضى والجرحى، 1500 بغل لحمل الذخيرة والمؤونة أنظر:تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الإجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي،ص:123

(5) Adolphe Jourdan, revenue africaine , n°= 37- P 6

ولقد كان من ضمن الحملة عشرة ضباط سامين وكان من ضمنهم الكـولونيل (ماك ماهـون) والجنرال (لوفسيــر Levasseur) وقد استمـرت شهرين كامـلين من(ماي ---> جوان 1845) وإستعمل فيها الفرنسيون أسلحتهم المتفوقة (المدفع) في حين كان السكان يفتقرون إلى هذه الأسلحة ويقاتلون بدون نظام[1] غير أنه بوصول العدو أخذت كتائب المشاة والخيالة مواقعها في وادي الشمرة، وتجمعت كل القبائل الشاوية وعلى رأسـها أحمد باي في (ثنية فرطاس) في جبل العشرة ووقـعت الاشتـباكـات يوم 3 ماي 1845 من الصباح إلى المساء ولم يظفر العدو بالنصر في البداية رغم تفوقه عددا وعدة، وأستأنف القتال بعد ذلك وكان لصالح المقاومين بسبب معرفتهم بميدان المعركة ومسالكه الوعرة[2] لكن جيش الإحتلال كانت له الكلمة الأخيرة بفضل سلاح المدفعية فالضربات المتتالية والدقة في التصويب أتت على جموع المقاومين وشتت صفوفهم مما أدى إلى انسحاب أولاد عبدي وأولاد ساولة.[3]

سمح هذا الاستسـلام بتقدم الحملة إلى ثنية الخرشوف ومنها إلى سـهل لمـدنية حيث خلفـت 18 قتيلا في صفـوف العدو و80 شهيدا في صفوف المقاومين وحضـر هذه المعركة محمد الصغير خليفة الأمير عبد القادر[4].

أقام خلالها الجيش الفرنسي متارس وتحصينات دفاعية لتنطلق منها الحملات الموجهة نحو الشرق (واد الأبيض) يهدف إخضاع بني أوجانة.

انطلقت سرية (لوفسير)يوم 7 ماي باتجـاه شليا عبر سهل مـلاقو واتجه (Herbillon) في اتجاه مواز إلى شمال جبل شليا من ناحية تافرنت. [5]

---

(1) جمعية أول نوفمبر في الأوراس، المرجع السابق، ص:123

(2) عثماني مسعود، المرجع السابق، ص:64

(3) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص:130

(4) قرية لمدينة: تقع بين جبل شليا واشمول، تبعد عن الطريق الوطني –باتنة- أريس بحوالي 12 كلم أنظر:) إنتاج جمعية أول نوفمبر في الأوراس، المرجع السابق، ص: 123.

(5) عبد الحميد زوزو، ص:131.

وحين وصلت السرية الأولى إلى جبل ملاقو نصب مخيمها وفي اليوم التالي أرسل الجنرال (Levasseur) جنده لسلب حبوب الشعير من مخازن بني وجانة، في حين راح القائد العسكري في تافرنت يلاحق عشائر بني وجانة المهاجرة[1].

واصطدمت القوات العسكرية مع الأهالي يوم 8 ماي 1845 في كل من بني وجانة وبني سليمان ولعمامرة وأولاد داود[2].

وفي الموقع الثاني في ملاقو وبوحمامة ورغم أن أحمد باي قد أرسل كتيبة من أولاد عبدي لنجدة بني وجانة، فقد دافع السكان عن أرضهم وعرضهم بما كانوا يملكون من الأسلحة واستعملوا في ذلك حتى الحجارة التي كانت لديهم كوسيلة حرب تقليدية في هذه المنطقة، حيث كانوا يدحرجونها من قمم الجبال ومن المرتفعات لتحول دون تقدم القوات المهاجمة غير أن الأسلحة المتطورة لجيش الاحتلال، وتكتيكه القتالي المتفوق وخبرة جنوده التي تقود القتال قلل من فعالية هذه الأساليب البدائية وجعل عناصر المقاومة أهدافا سهلة لأسلحته النارية وخاصة المدفعية[3].

استطاعت قوات الاحتلال إخضاع سكان بني وجانة في بوحمامة وشيليا قهرا وفرضت على السكان غرامة حربية كبيرة تدفع فورا وتقديم العلف للخيول والبغال لمدة شهر وبعد هذه المجازر وحملة الإبادة الجماعية لسكان وادي الأبيض أيضا طلب أعيان الأعراش التوبة والأمان بعدما أدركوا أنهم معرضون لما تعرض إليه غيرهم[4].

---

(1) إنتاج جمعية أول نوفمبر في الأوراس، المرجع السابق، ص: 121

(2)عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص:131

(3)عثماني مسعود، المرجع السابق، ص:64

(4) إنتاج جمعية أول نوفمبر في الأوراس، المرجع السابق، ص ص: 123-124

ومتابعة للقبض على أحمد باي انطلق الجنرال(لوفسير Levasseur) على رأس كتيبة صغيرة إلى قبيلة بني فرح الواقعة في المنحدرات الجنوبية للأوراس، ووصلت معلومات إلى الجنرال أن أحمد باي قد غادر إلى ششار ومنها إلى نايغ ً ً سوف ً ً ومنها إلى الجريد التونسي.

وفي الواقع أن أحمد باي قد توجه إلى أحمر خدو وبعد أن أحتاط لإخفاء وجهته.

« فاتجهت السرية في أول الأمر إلى سهل (لمدينة) حيث خيمت من 2 إلى 6 من نفس الشهر في واد نوغيسن ومن هناك زحفت إلى قرية خنقة سيدي ناجي والتي حلت بها يوم 9 وعند وصولها تعرضت لهجوم من طرف سكان قرية بني معافة، وأثناء ذلك تعرضت قرية (تابرجة) إلى الحرق ورغم ذلك واصل المقاومون هجومهم وملاحقة جيش الاحتلال إلى غاية وصوله موقع لمعامرة يوم 13» وواصلت الحملة طريقها من ششار إلى أولاد نسيغة وأولاد يعقوب حيث تعرضت الدواوير إلى هجوم مفاجئ وتم سلب 20000 رأس من الأغنام و600 ثور ولكن المقاومين تصدروا لهذا الهجوم واسترجعوا حوالي 10000 رأس من الغنم و 150 ثور»[1]

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص:135

وفي شهر فيفري من سنة 1846 وفي محاولة من الجنرال (لوفسير Levasseur) بتهدئة الأوضاع ومنع أي محاولة للمقاومة من طرف الأهالي وسعيا منه لفتح طرقا نحو الزيبان قام هذا الأخير بتعيين أحد الموالين كقائد لمنطقة الزيبان والأوراس وهو (بن قانة) إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلا حيث في أفريل 1846 تمكن أحد الثائرين والمسمى (أحمد مولاي) من جمع عدد كبير من المحاربين المنتمين للقبائل الثلاثة المكونة لعرش النمامشة حيث انطلق هؤلاء المحاربين في مهاجمة فرق الجيش الفرنسي المرابطة بإقليم الأوراس، وهو ما جعل الفرنسيين يقومون باستقدام العديد من الفرق العسكرية وحتى تلك المرابطة بإقليم عنابة بقيادة الجنرال (رندون) لكن قوة ثورة الأهالي في منطقة النمامشة وبخاصة إقليم أولاد رشاش كبدت الاستعمار خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد وهو ما جعل الجنرال (رندون) يطلب الدعم من الجنرال (بودو) الذي تولى القيادة العليا لإقليم الشرق الجزائري.

رغم الدعم العسكري بالعتاد والمشاة وحتى الفرق الخاصة باللفيف الأجنبي التي انضمت إلى المستعمر فان ثوار منطقة النمامشة بالأوراس ومنهم فرسان جبلية للأولاد رشاش تمكنوا في إحدى المعارك الفاصلة في منطقة الماء الأبيض بالقرب من تبسة من تكبيد القوات خسائر كبيرة أدت إلى الانسحاب إلى عنابة [1].

---

[1] Adolphe Jourdan , revenue , africaine. P 67

في سنة 1848 قام الكولونيل (كون روبير Conrobert) قائد بالنيابة للفرقة العسكرية بباتنة بمحاولة لضم بعض الفرسان من قبيلة أولاد رشاش لفرقته العسكرية حيث وبعد أن استسلم أحمد باي في هذه السنة بمنطقة الأوراس عادت منطقة أول رشاش وكذلك معظم المناطق الواقعة في إقليم النمامشة إلى إعداد العدة لمهاجمة الاستعمار في الأقاليم الأخرى المجاورة، وهذا ما جعل الجنرال (Saint Arnaud) الذي كان يقود مقاطعة الأوراس إلى إرسال عدة كتائب عسكرية إلى مدينة خنشلة وذلك بتاريخ 6 ماي 1850 مع إسنادها بكتائب قادمة من مدينة عنابة وكان الهدف من ذلك تسديد ضربات قاسية لمحاربي نطقة النمامشة وتفريقهم حتى لا يكونوا قوة يحسب لها ألف حساب وهو ما قام به الجنرال (Mirbeck) الذي قام بتقسيم فرقه العسكرية لتتجه إلى عدة مناطق في محاولة لمهاجمة هؤلاء المحاربين إلى غاية مدينة تبسة ورغم وصولها إلى هذه المدينة وعند خروجها منها يوم 12 ماي 1850 وفي محاولة لعودتها إلى مدينة خنشلة تعرضت إلى عدة هجمات أدت إلى مقتل العديد من الجنود الفرنسيين حيث كانت أغلب هذه الهجمات من طرف فرسان أولاد رشاش[1] .

---

[1] Adolphe Jourdan,revenue africaine. P. P 10 -

المبحث الثاني:

مساهمة سكان الأوراس في إنتفاضة الزعاطشة 1849

أ - إنطلاق الثورة

ب- مساهمة الأوراسيين

ج - اقتحام الواحة

د - معركة نارة 1850

مساهمة سكان الأوراس في إنتفاضة الزعاطشة 1849:

جرت انتفاضة الزعاطشة[1] في واحة ليشانة بناحية طولقة وهي تقع في الناحية الجغرافية خارج عن جبل الأوراس لكن غير بعيدة عن سفوحه الجنوبية الغربية، وقد تحركت سرايا من سفوح جبال الأوراس الجنوبية تحت قيادة كل من الشيخين: سي عبد الحفيظ[2] مقدم الطريقة الرحمانية[3] في خيران، وسي الصادق بن الحاج[4] شيخ زاوية "تيبرماسين" بسيدي المصمودي لمؤازرة الشيخ بوزيان في حركة منسقة لتخفيف ضغط القوات الفرنسية المحاصرة لواحة الزعاطشة.

إنطلقت الانتفاضة في جويلية 1849 واشتد لهيبها في أكتوبر من نفس السنة وكانت أولى بوادر التمرد ضد سلطة القياد والتي بدأت تلوح في الأفق بعد أن ظلت قبيلة بني وجانة مصرة على رفض تسديد الضرائب رغم العقوبات التي تعرضت لها، كما بادر أولاد عبدي في نارة باغتيال شخصين من عائلة القايد بن عباس[5]فاتجهت كتيبة (كاربوسيا carbuccia) في 25 أفريل إلى موطن أولاد عبدي لتأديب السكان. وتعود فكرة الانتفاضة في الحقيقة سنة 1848 بسقوط الحكم الملكي بفرنسا والعسكري بالجزائر وقيام سلطة مدنية وكانت هناك عدة أسباب مهدت لهذه الثورة:

1/أن السكان لم يستسيغوا ولم يقبلوا السيطرة الأجنبية وكانوا متذمرين من السياسة الإستعمارية وخاصة رفاق الأمير عبد القادر وأحمد باي فكانوا لا يضيعون أية فرصة من أجل تجديدي المعركة .

2/إنشغال فرنسا داخليا بأحداث ثورتها 1848 التي قامت على تصفية النظام الملكي و تدعيم النظام الجمهوري و إقامة مؤسسات اقتصادية ذات طابع إشتراكي .

3/ إنشغال القوات الفرنسية بالقضاء على ثورات محلية أخرى و منها ثورة سكان الزواغة و فرجيوة و القل و البابور وشمـال قسنطينة و ثورة بن حسـاين و بني منـاد و ريغة و بنـيزقزق بالعاصمة و مليانة و المدينة التي امتدت بعد ذلك إلى منطقة التيطري و سور الــغزلان و أولاد نـايـل وذلك خــلال 1848 و أوائـــل 1849.[6]

(1) واحة الزعاتشة:تقع على بعد 35 كلم جنوب غرب بسكرة أنظر:(يحي بوعزيز، ثورات القرن 19-20، ص: 90).

(2)سيدي عبد الحفيظ: هو عبد الحفيظ بن محمد الخنقي الجزائري : من كبار شيوخ الطريقة الرحمانية له عدة مؤلفات منها (التعريف بالإنسان الكامل)، (الجواهر المكنونة و العلوم المصونة)، (حزب الفلاح و مصباح الأرواح)، أنظر: جمعية أول نوفمبر بالأوراس، ص: 127.

(3)الطريقة الرحمانية: طريقة دينية تنسب إلى محمد بن عبد الرحمن الذي ولد في القرن 18 بجرجرة و توفي ما بين (1793-1794)أعطى لهذه الطريقة إسم الرحمانية و توسعت في الجهة الشرقية الجنوبية فبعد وفاة المؤسس خلفه الشيخ باشتارزي في قسنطينة و أخذها عنه ابن عزوز بطولقة، و في أولاد جلال كان الشيخ مختار بن خليفة و في خنقة سيدي ناجي الشيخ عبد الحفيظ (زعيم مواجهة 1849) انظر نفسه ص: 127.

(4)الشيخ الصادق بلحاج (زعيم ثورة 1858)(نفسه ص: 127).

(5) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 142 .

(6) Henri Garrot : Histoire générale de l’Algérie (Paris 1910) p.p.883 .884

عدم مراعاة السلطات الفرنسية لحالة السكان السيئة إقتصاديا و إستخفافها و إستهانتها بأوضاعهم المعيشية المتدهورة في الواحات، وفي سياسة تتميز بها السلطات الفرنسية طوال وجودها بالجزائر، فرغم تدهور مردود التمور في الواحات عام 1848 والذي تلاه فإن السلطات أقدمت على رفع مقادير الضريبة على أشجار النخيل بنسبة الثلثين، ولم تكتف بهذا فحولت إليها نوعا من الضرائب (اللازمة) كان السكان يدفعونها منذ عهد الأتراك و بذلك عم التذمر كل طبقات السكان و لم يترددوا في تأييد الثورة و زعمائها.ورغم أن الكتاب الفرنسيين يؤكدون أن هذا العنصر الإقتصادي هو السبب الرئيسي في الثورة، إلا أن هيبريون ذكر أن السبب المباشر لها هو ثورة 1848.[1]ويقول: عبد الحميد زوزو أن أسباب الحركة التي جمعت بين مظاهر الإنتفاضة و المقاومة إلى رفض قرار 12 نوفمبر الخاص بإلحاق الجزائر بفرنسا و إلى الضرائب الثقيلة التي أرغم الناس على دفعها كدليل على خضوعهم.[2]

-أ- ***إنطلاق الثورة*** : اندلعت الثورة في واحة الزعاطشة بمنطقة الزيبان على بعد 35كلم من جنوب غرب مدينة بسكرة و كان زعيمها الرئيسي، هو شيخ الزيبان المنصوف أحمد بوزيان مقدم الطريقة الدرقاوية بالمنطقة عمل تحت إمرة الأمير عبد القادر كشيخ على سكان الزاب الظهراوي، و لقد إدعى هيبريون أنه غضب عندما لم تضمه السلطات الفرنسية إلى فرقة جنود المخزن بعد أن سيطرت على المنطقة، و لهذا إغتنم فرصة غياب الجنرال سال(Salles) حاكم مقاطعة قسنطينة إلى منطقة بجاية للقضاء على ثورة بن سليمان وإخلاء مركز باتنة من القوات فأعلن حركة الثورة و قدم نفسه لهم كزعيم [3] و بعث برسائل إلى الزعماء الدينيين البارزين في المنطقة أمثال: سي المختار في سيدي خالد بأولاد جلال،وسي الصادق وسي عبد الحميد بالأوراس،وسي الصغير بلحاج الذي كان في توزر داعيا إياهم للحرب ثانية ضد الفرنسيين و طردهم من البلاد.[4]

---

(1) يحي بوعزيز، المرجع السابق،والجينيرالهيبريون قائد فرقة قسنطينة، ص: 88.

(2)عبدالحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 144 .

(3)يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 89 .// (4)عبدالحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 44 .

عمت حركة المقاومة في مطلع شهر سبتمبر جميع الواحات و شتى المناطق الجبلية بعد هذا النداء الموجه إلى الزعماء، وتوجه 40 شخصا من قرية نارة إلى الزعاطشة لتدعيم الدفاع عنها وتوجهت مجموعات أخرى من أولاد داود وأولاد عبدي وبني بوسليمان وسكان أحمر خدو انضموا بدورهم إلى بوزيان[1]

ب/ مساهمة الأوراسيين:

«وتقدمت كتائب المجاهدين من خنقة سيدي ناجي بقيادة سيدي عبد الحفيظ وتمركزت بالقرب من سريانة وأتخذت مواقعها على الحافة الشرطية من وادي بيراز وقد تجمع لديه 200 من الخيالة 3000 من المشاة، ولما تأكدت القيادة الفرنسية من ذلك زحفت بقوتها بقيادة"سان جيرمان" للتصدي وردع المجاهدين القادمين للمساندة وتدعيم ثورة الزعاطشة».[2]

دخل إلى تهودة وأتخذها قاعدة إستطلاع ومتابعه وأسرع إعتراض جموع الأهالي بقوات من حامية بسكرة معززة بعملاء من أتباع ابن شنوف قائد سيدي عقبة، والتقى الجمعان يوم 17 سبتمبر 1849 بقرية سريانة شمال تهودة ودارت بينهما معركة كبيرة أسفرت عن الكثير من الضحايا من الطرفين ومنها قائد الحامية الرائد (سان جيرمان) الذي أصيب إصابة قاتلة، كما أصيب عدد من ضباطه مما أدى إلى تقهقر القوات وتراجعها إلى بسكرة[3].

وبعد انتصار المقاومتين في موقعة سريانة وقتل الرائد (سان جيرمان) كان ذلك ضربة قاصمة أصابت العدو في عموده الفقري، وحمل جثمانه إلى بسكرة حيث ألقى الجنرال(كانروبرت Canrobert) كلمة تأبين توعد فيها بالانتقام.

---

(1)عبدالحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 144.

سان جيرمان: هو من تولى أسر أحمد باي، وقد تكونت قوات الرائد سان جيرمان من 300 عسكري من المشاة و70 من القناصة و55 من السبايس، و200 من الخيالة وفرقتان من المدفعية الميدانية.

وللعلم فإن الثكنة التي هاجمها الثوار ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 ببسكرة كانت تحمل إسم ثكنة الرائد سان جيرمان.

(2)جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص: 128.

(3)ع مسعود ثماني ، المرجع السابق، ص:77.

وصل الخبر إلى الجنرال (هيربيون) فعين مكانه العقيد (كاربيسا) ولم تمنع الخسائر في صفوف الثوار القبائل القريبة والبعيدة من التضامن مع ثورة الزعاطشة بشتى الطرق منـها: الإمتناع عن تسديد الضـرائب وإرسـال البغال للسخرة في خدمـة الجيش الفرنـسي، كما إغتال أولاد سلطان القائد سي الباي بن أحمد خوجة أما قبيلة بني معافة وبني فراح وبني زيان فكانت مهمتهم عرقلة المواصلات بالهجوم على الفرق المتوجهة إلى بسكرة، وعرقلت قوافل الإمداد المتدفقة من الشمال عبر فج القنطرة[1].

ج- إقتحام الواحة:

كانت هذه البادرة سببا في تعرض الواحة في 6 أكتوبر 1849 إلى هجمة عنيفة شنها حوالي 4 آلاف رجل وعلى رأسهم القياد والأغاوات تحت قيادة القائد الأعلى للمقاطعة، غير أن الثوار صدوا الهجمة وكبدوا الجيش الفرنسي خسائر معتبرة، الأمر الذي جعل الجنرال(هيربيون Herbillon) يعيد حصار الواحة مـن جديد بحوالي 10000 رجـل لكن هذه الخطة أفشلتها هجمات البدو والرحـل في 25-30-31 أكتوبر، لمـنع العدو من قطع أشجار النخيل وأستغرق الحصار 52 يـوم الى أن تمكن العدو من الإستـلاء على الواحة وكان ذلك في يوم 26 نوفمبر 1849 عندما رمى الفرنسيون بكل ثقلهم العسكري على الواحة ودكوا أسوارها بالمدفعية من الصباح الباكر إلى منتصف النهار[2] ويشهد التاريخ أن المواجهة التي دارت في الزعاطشة كانت من أعنف المعارك دافع خلالها الثوار عن القرية دارا دارا وذادوا على النخيل نخلة نخلة وبشهـادة الفرنـسيين فقد خسر الإحتلال خلالها حوالي 1000 رجل بين قتيل وجريح وخسر الثوار مابين 700 إلى 800 شهيد بعد أن إستماتوا إستماتة الأبطال وقال الجنرال (هيربيون) في هذا الصدد :

---

(1) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص:77.

(2) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 97.

أخذت الزعاطشة عنوة يوم 26 نوفمبر بعد أن قاتل بوزيان والشريف سي موسى بوحماد رفقة 7 إلى 8 آلاف رجل بدون هوادة ولم ينج منهم أحد بعدما قطعنا 7000 نخلة و3000 في ليشانة ودمرنا الواحة عن آخرها وأرتكب الجيش أعمالا دنيئة في حق السكان ولم ينج لا الأطفال ولا النساء من أعمالهم الفظيعة.

ويقول (Garrot) خلال إقتحام الواحة:"وارتكب الفرنسيون جرائم بشعة خربوا الواحة وهدموا دورها عن آخرها وقطعوا 10 آلاف نخلة هي كل ثروتها وثروة سكانها وشنقوا 1500 شخصا أمام الملأ".[2]

دافع الشيخ بوزيان وابنه الحاج موسى إلى أن سقطوا تحت ضربات الرصاص فحزت رؤوسهم وحملت إلى بسكرة وعلقت هناك على أحد أبوابها.[3]

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 145.
(2) Henri Garrot : Histoire générale de l'Algérie p.885
(3) يحي بوعزيز، المرجع السابق ، ص:97.

د- معركة نارة 1850 :

بعد أن فشلت انتفاضة الزعاطشة، وتم تدمير الواحة وتحقق السلم نسبيا وأصبحت بؤر التوتر واضحة لدى الاستعمار وكان لا بد من القضاء عليها أينما كانت وحيثما وجدت وكانت هذه الأماكن التي مازالت تشكل قلقا وضاحا لدى القوات الغازية هي جبال الأوراس وبالضبط عند أولاد عبدي بقرية نارة والتي تعتبر بمثابة توأم واحة الزعاطشة والتي كانت تستعد لاستئناف الثورة والأخذ بالثأر والانتقام ولإحساس السكان بالخطر بعد المساندة التي قدموها لسكان الزعاطشة انسحب المجاهدون المشاركون في الثورة بأعجوبة من الميدان العسكري وعبر مناطق مكشوفة وجرداء ولمسافات طويلة وصلوا إلى تخوم الأوراس وتوجهوا إلى نارة التي كانت مركزا قياديا لهم وانظم إليهم سكان بني بوسليمان وأحمر خدو.

وتنفيذا لرغبة الإنتقام خرج الجنرال (كانربورت)[1] من باتنة بجيش كبير في 4 جانفي 1850 وكانت وجهته نارة تحت ظروف مناخية صعبة، حيث كانت الثلوج تتساقط بكثافة، والجو بارد وصار التقدم بطيئا إذ أن سير ها لا يتجاوز 6 كلم في اليوم، وكانت عناصر العدو تتسلق سفوح الجبال الوعرة ذات المدرجات الحجرية الضخمة والطرق الملتوية في الصخور مما صعب مهمة الهجوم والتقدم صوب القرى المشيدة على الصخور وكانت التحركات تتم على مرأى من أبراج مراقبة المجاهدين[2] .

---

(1) تكونت قوات الجنرال كانروبرت على وادي عبدي من 4 فلايق ، 3 سرايا ، وسريتان للمدفعية الميدانية أنظر: (جمعية أول نوفمبر المرجع السابق، ص: 129).

(2) نفسه ، المرجع السابق ، ص129.

وكان المجاهدون يعولون على استغلال الظروف المناخية من جهة والاحتماء بموقع القرية الحصين من جهة أخرى وصعوبة المسالك التي جعلت من العدو عند بلوغه نقطة التقاء الممرات المؤدية إلى نارة يشكل ثلاثة أرتال كل رتل من جهة ، فكان الرتل الأول بقيادة كاربيسا والذي صدرت إليه الأوامر بالزحف من الجهة الغربية ، والرتل الثاني بقيادة (براس دوفيرBrasdefer) والذي توجه عن طريق تيفشوين وكان عليه متابعة حافة الجبل الشرقي، أم الرتل الثالث فكان يقوده (لافرنود Lavarande) وهذا كان يسلك السهل على الطريق الشرقي[2].

فاشتبك المجاهدون مع العدو في مواجهات عنيفة ، حيث كانت عملية الهجوم متوازية مع الأرتال الثلاثة، وكان هدفها هو عرقلة وإضعاف قوات المرابطين في الروابي غير أن الرتل الثالث استطاع أن يؤثر على دفعات المقاومين وذلك بتكثيف القصف المدفعي على المواقع التي اتخذها المقاومون كمرابض لهم مما أدى إلى تراجع المدافعين داخل القرى ليشكلوا دفاعا صلبا مع قناصي القرى [3].

وبعد يومين من المواجهة التي انتهت لصالح العدو الفرنسي، حيث كلفت الفرنسيين مقتل 8 ضباط وجرح 30 منهم، أما قرية نارة فقد تعرضت لمصير مماثل لمصير الزعاطشة حيث كتب قائد الفرقة إلى الحاكم العام يقول: "استولت قواتنا على قرية نارة بعد ساعتين من الاقتتال وأضرمت فيها النار ومات عدد كبير من سكانها تحت أنقاض منازلهم"[4].

---

(1) إنتاج جمعية أول نوفمبر بباتنة المرجع السابق ، ص:130.

(2) عبد الحميد زوزو المرجع السابق ، ص:146.

(3) نفسه ص: 146.

(4) نفسه ص: 146.

المبحث الثالث:

إنتفاضة 1858 (حركة سي الصادق بن الحاج):

أ- أسباب الانتفاضة

ب- بداية المواجهة

ج- نهاية المواجهة واستسلام المقاومين

إنتفاضة 1858 (حركة سي الصادق بن الحاج):

بعد حملتي (الزعاطشة والنارة) سادت فترة من الهدوء منطقة الأوراس سمحت للغزاة بتكريس الاحتلال وإدخال نظم جديدة على السكان بعد إحكام قبضتهم فبدءوا في تقسيم البلاد إلى مناطق ذات حكم مختلط (عسكري-مدني) تم بموجبه تعيين قيادات تتولى مناصب المسؤولية والإشراف على الشؤون الأهلية للسكان(محمد بن بلعباس على وادي الطاقة ووادي عبدي منذ 1846/4/9 وبوضياف على عرش أولاد داود منذ 1850 والطيب بن بلقاسم قيادة بني وجانة وسي بلحاج بلقاسم قيادة لعمامرة) وهذه القيادات أختبرت بعناية فائقة من قبل السلطات الاستعمارية العسكرية وقد رعيت في هذا الاختيار جملة من الاعتبارات منها: النفوذ الديني – المركز الاجتماعي – الانتماء الأرستقراطي وإثبات الولاء المطلق للسلطة وبهذا تمكنت السلطة من التغلغل في الأوساط الاجتماعية ومحاولة منها إستمالة كثيرا من الناس بدهاء تحولوا فيما بعد إلى عملاء ممتازين للإستعمار.

ونتيجة لتكريس الاحتلال والضغط الاستعماري المتزايد على السكان في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية: «وخاصة بعد استحداث نابليون الثالث نظام (وزارة الجزائر المستعمرات) والذي عين على رأسه أخيه جيرور نابليون وعمل هذا النظام على إطلاق العنان للمستوطنين الفرنسيين ليفرضوا سيطرتهم التامة على شمال البلاد، وأطلق العنان للعسكريين في جنوب البلاد فتعرض الجزائريون للمزيد من الضغط والعنف والإرهاب والإهانة فانتزعت منهم أملاكهم العقارية والحيوانية وفق سياسة الإفقار التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية أسلوبا منذ 1830»[1].

---

(1) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 134.

وكانت انتفاضة سي الصادق بن الحاج (أو سي الصدوق بن الحاج) أول انتفاضة بعد تكريس الاحتلال. وهذا الرجل ينتمي إلى أولاد سيدي منصور شيخ وزعيم أولاد أيوب في جبل أحمر خدو بسفوح الأوراس قرب بسكرة،منذ صغره كان يرفض التعامل والتعاون مع الفرنسيين،وعندما اندلعت ثورة الزعاطشة عام 1849 شارك في مقاومة الزحف الفرنسي عليها بسبعمائة فارس إلى جانب الشيخ عبد الحفيظ مقدم الطريقة الرحمانية بخنقة سيدي ناجي فعملوا على مساندة زعيم الثورة الشيخ بوزيان وسكان واحة الزعاطشة[1]، ويعد سي الصادق بلحاج مقدما للزاوية الرحمانية التي أسسها عبد الحفيظ بخيران ثم بخنقة سيدي ناجي، وما لبث أن أسس بدوره زاوية بتبرماسين – سيدي مصمودي "ناحية أحمد خدو"[2]

أ- أسباب الانتفاضة: لم يذكر المؤرخون الأسباب الحقيقية لحركة سي الصادق، هذه الانتفاضة التي أجهضت خلال أسابيع قليلة، غير أن الوازع الديني يظل المحرك والدافع الحقيقي لهذه الانتفاضة .

ويذكر عبد الحميد زوزو أن الاستعداد للجهاد كان منذ 1856 عند معارضة السكان لمنشور فرنسي كان يهدف إلى إلزام السكان بتسجيل أولادهم في المدرسة الفرنسية، حسب تقرير ورد من مكتب الشؤون العربية ببسكرة، قام سي الصادق بجولة عند أولاد رشاش وبني بوسليمان لشرح محتوى المنشور وإقناعهم بعدم إرسال أولادهم إلى المدرسة الفرنسية.[3]

وازداد عدد المنخرطين في دعوته و توسع نفوذه بعد أن كان ينحصر في منطقة أحمر خدو وامتد إلى منطقة الزاب الشرقي ومنه إلى أوراس الأوسط وقبائل البدو الرحل.

---

(1) يحي بوعزيز ، مجلة الثقافة، عدد 32 (أضواء على إنتفاضة سكان الزعاطشة والشيخ بوزيان عام 1849) أفريل- ماي 1876، الجزائر ص:39 .

(2) بتبرماسين: زاوية ذات مركز إشعاع فكري يؤمها الطلبة للعلم من مختلف أنحاء الأوراس لينهلوا منها مختلف العلوم الشرعية وكانت لشيوخها حظوة ومنزلة عند السكان، كما كان يقصدها الفقراء والمساكين للإيواء والإطعام،عثماني مسعود، المرجع السابق، ص: 83.

(3) عبدالحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 152.

وقد إستغل الشيخ سي الصادق إنشغال القوات الفرنسية بالمقاومة في بلاد القبائل (جبال جرجرة 1857)، ومركزه الديني كشيخ للزاوية الرحمانية[1].

وراح ينتقل بين قبائل المنطقة عند بن بوسليمان وأولاد داود، واد غسيرة، والزاب الشرقي وبني ملول، والبراجة داعيا الجميع إلى الحذر من الفرنسيين الذين يريدون القضاء على الدين ويمنعون الحج والزكاة وزيارة المرابطين.[2]

وكان إبنه إبراهيم يكتب الرسائل باسم أبيه إلى الناس يشحد عزائمهم، ويحرك في نفوسهم الأحاسيس الوطنية، المشاعر الدينية ويحرضهم على القتال.

وكان من ضمن هذه الرسائل رسالة خاصة فجرت الأزمة وجهها سي إبراهيم مع لخضر بن كربيع (أو المدعو أبو قريب) الذي قرأها في سوق سيدي عقبة وجه فيها نداء للجهاد الذي أعلنه سي الصادق، وحين حاول شيخ القبيلة القبض عليه التجأ إلى دار مقدم الإخوان الرحمانيين، وهناك إعتصم به وأدى هذا الأمر إلى نشوب المعارك الدامية[3].

وتطورت الأحداث وخرجت دعوة الشيخ سي الصادق من السرية إلى العلنية وكانت هذه الحادثة القطرة التي أفاضت الكأس في 10 نوفمبر 1858.

---

(1) مسعودعثماني، المرجع السابق، ص: 84.
(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 135.
(3) يحي بوعزيز، المرجع السابق (ثورات القرن التاسع عشر) ص، 136.

ب- بداية المواجهة:

في ليلة 13 و 14 التحقت بهم أكثر من 20 خيمة قوامها أكثر من 200 مقاوم حامل للسلاح.

تلقى قائد المنطقة أمرا بتشتيت التجمع فأرسل قائد بسكرة سي محمد الصغير إلى سيدي عقبة في إنتظار وصول الإمدادات بقيادة قايد أولاد ساولة سي أحمد بن شنوف والقائد سي فرحات بن عبد الله شيخ العرب وكانت الإمدادات تتألف من 220 فارسا و 170 من المشاة.[1]

وزجت فرنسا بقواتها إلى لهب المعركة بقيادة الجنرال (desveaux) ديسفو قائد منطقة باتنة العسكري[2] والجنرال (Gastu) قاستو وتمركزا بسفوح جبل أحمر خدو وعملا على محاصرة المقاومين وخاض سي الصادق ورجاله معركة كبيرة في مشونش كانت فوق طاقتهم عدة وعددا.[3]

وأستطاع المجاهدون عرقلة تقدم الحملة مما جعلها هدفا سهلا أمام الضربات السديدة التي كادت تطيح بالحملة وتبيدها لولا استعمال المدفعية الميدانية البعيدة المدى والتي ساعدت على تقدم وتغلغل العدو جنوبا، وتم تدمير الزاوية وإحراقها عن آخرها في 14 جانفي 1859 بعد إلتحام بين الفيلق الفرنسي وقوات سي الصادق وأنصاره البالغ عددهم 1500 رجل من شتى القبائل.

استمر القتال نصف يوم إضطر المقاتلون إثره على الإنسحاب ليلا نحو الجبال المحيطة بقرية لقصر بعد أن خسروا عددا معتبرا من القتلى والجرحى مقابل قتيلين وخمسة عشرة جريحا في صفوف القوات الفرنسية[4].

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 154.

(2) إنتاج جمعية أول نوفمبر، (المرجع السابق) ص: 131.

(3) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 136.

(4) جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص: 132.

واصل الفيلق الفرنسي تقدمه نحو لقصر حيث وجد في مواجهته ثاني خط دفاعي فأشتبك معه طيلة ثلاث ساعات قبل أن يضطر المقاومون إلى الانسحاب مرة أخرى إلى القلعة الجديدة واستولى الفرنسيون هناك على غنائم كثيرة[1] ولم ينج من فرسان الشيخ سي الصادق إلا قدر كتيبة من الرجال ومعه النساء والأطفال اتجهوا صوب ششار وقبل أن تصل إلىوادي العرب وجدت نفسها مطوقة من قواتً القومً المجندين من قبل أحمد بولخراس حفيد شيخ العرب بالزاب الشرقي والموهوب بن شنوف قائد سيدي عقبة وابن ناصر قائد جبل ششار ولم تكن المقاومة مجدية بعد أن كان العياء والتعب وقلة الزاد ومشقة السفر قد نال من عزيمتهم وأضعف قوتهم، وبعد أن تمكنت قوة القوم من سدت الطريق أمامهم والإحاطة بهم من كل جانب وإرغامهم على الاستسلام يوم 20 جانفي 1859.

ج- نهاية المواجهة واستسلام المقاومين:

حيث تم أسر قائد الانتفاضة الشيخ الصادق ومعه 88 من رجال المقاومة واقتيدوا جميعا إلى قرية لقصر حيث عسكر الجنرال (Desveaux ديسفو).[2]

وبعد ذلك انقلبت القوات الفرنسية على السكان العزل وأخذت تقتل بالجملة وتصادر أملاكهم، وأحرقت ديارهم وخيامهم على غرار ما فعلته بالزعاطشة قبل ذلك بحوالي 10 سنوات ولم تميز بين الثوار وغيرهم[3].

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 157.

(2) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص: 85.

(3) Charles. A. Gulien : (histoire de l'Algérie contemporaine paris) 1964. PP : 124-125.

أما الشيخ سي الصادق وأبنيه الطاهر وإبراهيم و 88 مجاهدا من أتباعه فقد نقلوا إلى خنقة سيدي ناجي ثم بسكرة وتم توجيههم إلى سجن قسنطينة للمحاكمة.[1]

في نفس الوقت تعرضت القرى المتواعدة شمال غسيرة إلى غزو القوات المرابطة في باتنة فاستولت على مواشي أولاد داود وبني بوسليمان وأضرمت النيران في قريتي بنيان والديسة.

ونتج عن عمليات القمع التي أمر بها قادة العسكر ونفذها القياد أن استسلمت 18 قبيلة من منطقة أحمر خدو وقدمت 36 من أفرادها كرهائن والتزمت بتسديد ضرائب الحرب، وتركت السلطات العسكرية للقياد مطلق الحرية كي يرتكبوا ما شاءوا من التجاوزات بمهاجمة جميع المقاومين دون استثناء والإستلاء على ممتلكاتهم وإلحاق الضرر بهم دون شفقة أو رحمة[2]وخاصة منطقة غوفي التي جند سكانها للمقاومة مع الشيخ الصادق وحيث كان يوجد مركز تموين الثورة والذخيرة الحربية لقد نفذ القياد الأوامر بحوافرها، ومن الواضح أنهم كانوا تحت ضغط مزدوج التهديد من طرف السلطة الاستعمارية والمصلحة الشخصية فكانوا مستعدين للرضوخ لكل الشروط.

---

(1) جمعية أول نوفمبر، ص: 32.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق ص ص: 158-159.

(3) جمعية أول نوفمبر، ص: 132.

فلولا المساعدة التي قدموها للسلطات الاستعمارية لما استطاعت هذه الأخيرة إلقاء القبض على الشيخ الصادق بلحاج ولا تمكنت من القضاء على التمرد ومن هنا نقول أن القياد كانوا وراء فشل أي انتفاضة ووراء المآسي التي لحقت بالقبائل وقراهم ومداشرهم، وهم وراء ما لحق برجال الدين والمقاومين.

أما محاكمة الشيخ الصادق بلحاج وكوكبة المجاهدين الذين كانوا معه: فقد تم إيداعه سجن الحراش يوم 26 أوت 1859 مع ابنيه ومجموعة من الأبطال المجاهدين للمحاكمة في مجلس حربي بقسنطينة، وكانت التهمة الموجهة أليهم (مذنبون لحملهم السلاح ضد فرنسا بالمنطقة العسكرية وتحريضهم السكان على التسلح ضد بعضهم بغرض إلحاق الاكتساح والنهب والتقتيل بمكان أو أماكن عديدة، وأخيرا تحريضهم السكان على العصيان).[1]

أصدر حكم الإعدام بحق سيدي الصادق بلحاج، إلا أن تدخل الإمبراطور نابليون الثالث خفف الحكم إلى 15 سنة سجنا، ابنيه إبراهيم والطاهر فقد حكم على كل واحد منهما بـ: 10 سنوات.

وقد لبث سي الصادق في السجن سنتين بعد الحكم وقد كان مقررا نقله إلى جزيرة (سان مارغريت) إلا أنه توفي بالسجن سنة 1862 ونقل إلى تيبرماسين وحسب بعض الروايات والتي تقول أنه نقل من قبل مريديه الذين كانوا في زيارة له حين وافته المنية حيث استتروا بغلة شهباء من سوق الحراش وحملوه إلى مثواه الأخير حيث دفن بتبرماسين مقبرة أجداده سيدي المصمودي مسقط رأسه بالأوراس[2].

(1) عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900) المؤسسة الوطنية للكتاب 1984، ص: 185.

(2) جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص: 133.

أما أبني المجاهد سي الصادق بلحاج فقد تم الإفراج عنهما بعد أن استكملا المدة 10 سنوات، ولما أفرج عنهما عادا إلى تيبرماسين وأقاما قواعد الزاوية من جديد كما أعاد بعث الأمل في قلوب مرتديها بإعمارها وإحياء دورها الحضاري والإنساني المتمثل في إحياء علوم الدين وفض النزاعات بين القبائل والأعراش والإفتاء وبتاريخ 1876 توفي الشيخ الطاهر وترك شؤون الزاوية لأخيه إبراهيم الذي واصل نشر الوعي الديني والقيم الإسلامية من خلال الزاوية.[1]

---

(1) مسعودعثماني المرجع السابق، ص: 86.

(2) لسيدي إبراهيم: ينتسب كتاب حكمة المغانم نشر الدكتور: عبد القادر زبادية تلخيصا له في محله الأصالة العددان (60-61) 1976 ص: 207 والذي يكشف من خلاله جوانب غامضة في انتفاضة (1859-1860) ؟ ومحتوى الكتاب وثيقة أهلية.

- تعرف بالمؤلف نفسه أما الكتاب فقد سماه المؤلف حكمة المغانم في البلوة في جميع النعائم والكتابكله شروح وتفصيلات عن الفرائض والسنن والإشادة بالطريقة الرحمانية ويقول زبادية الذي اطلع على الكتاب بأنه يحتوي على 152 صفحة وفي كل صفحة 24 سطرا بخط مغربي واضح ويحتوي كذلك على بعض الأدعية والذكر وينسب المؤلف لأبيه الكثير من الكرامات وللطريقة الكثير من الصلاح والاستقامة ويقدم مؤلف الكتاب كثيرا من التفاسير لابن العربي والغزالي والحسين البصري.
- و الذي يهمنا في الوثيقة كما أشار إليه الكاتب هو ثورة 1859 التي شملت منطقة الأوراس الجبلية بكاملها إلقاء القبض عليه و يصف سجن الحراش بأنه مأوى قطاع الطرق و المجرمين و رغم ذلك فقد سجنت فيه فرنسا والده ، و نقلت أولاده و كثيرا من أبناء عزيرة ً ً ً ً ً ً كورسيكا ً ً و يقول أن والده بعد سنتين من السجن ، أطلق سراحه و عاد إلى مسقط رأسه و في أثناء طريقه مر بالمسيلة و بسكرة و يعطي المؤلف لتلك الثورة تاريخ 1276 هـ الموافق لـ: (1859 - 1860) .

و يعلق الدكتور زبادية على الوثيقة بأنها منافية للحقائق و المصادر المتوفرة في تاريخ الإنتفاضة خلال سنة (1858 - 1859) و الثانية حول المدة التي قضاها الشيخ الصادق في السجن و الذي تقول المصادر أنه توفي في سجن الحراش 1862 و الثالثة عن شمولية الانتفاضة، غير أنها في الحقيقة كانت محدودة من حيث الإطارين الزماني والمكاني والدكتور لا يشك في الوثيقة بقدر ما يقول أنه اعتلاه شك في تعرض النسخة الأصلية إلى إعادة النسخ دون مراجعة و تدقيق.

المبحث الرابع:

مشاركة الأوراس في انتفاضة 1871:

أ-بداية المقاومة والتمرد

ب-نهاية المقاومة والقضاء على المقاومين

ج-نتائجها على المستوى الشعبي

مشاركة الأوراس في انتفاضة 1871 :

بعد الاحتلال وبعد ثورة سيدي عبد الحفيظ وثورة سيدي الصادق بلحاج بقيت المقاومة مستمرة بناحية الأوراس ورغم ما استعمله الغزاة من تنكيل مادي ومعنوي لمواجهة الانتفاضات في كل مكان، ورغم عمليات الإبادة والتخريب التي ارتكبها العدو في حق المواطنين العزل، إلا أن لهيب المقاومة ورفض الاستعمار بقي مستمرا رغم تكريسه.

وكان لنفوذ حركة الإخوان الرحمانيين (الزاوية الرحمانية) التي كانت لها امتداد داخل مناطق عدة في الجزائر وسيطرة كبيرة على القبائل.

وبذلك ساهمت منطقة الأوراس في انتفاضة 1871 والتي تعتبر فرصة أخرى مكنت الأوراسيين من تأكيد روحهم الوطنية ونزعتهم إلى الاستقلال ولقد اتخذ التمرد مظهرا من مظاهر العصيان العام الذي أعلنته القبائل دون اكتراث بالفرنسيين ولا بهيمنتهم، حيث تطور التمرد فيما بعد إلى هجمات مسلحة ضد المستوطنين ومزارعهم.

أ- بداية المقاومة والتمرد :

في ضواحي باتنة، حاصرت قبيلة السحارى زمالة القايد بن هني في سهل" لوطاية " في بداية أفريل 1871،وأضرمت النار في المزارع الأوروبية.

وفي يوم 22-23-24 أفريل أقدمت القبائل المجاورة لباتنة في إضرام النيران في مزارع عين ياقوت وفيسديس[1]، والمعذر، وفي المنشآت التابعة للعرب الخاضعين وقطعوا الاتصال بين باتنة و قسنطينة ونكلوا بسبعة وثلاثين شخصا من المستوطنين.[2]

(1) فيسديس: تبعد عن باتنة 8كلم. طريق باتنة قسنطينة أنظر: (إنتاج جمعية أول نوفمبر)،ص:134.

(2)عبد الحميد زوزو،(الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي)، المرجع السابق، ص:167 .

وبتاريخ 21 أفريل 1871 اجتمعت قبائل أولاد فاطمة، أولاد شليح، الحليمية لإعداد خطة للمواجهة المسلحة، وخاصة بعدما وصلتهم أخبار عن الانتصارات التي حققت ضد الغزاة في عين تاغورت ومجانة مما اضطر الفرنسيين للانسحاب منها، فحددوا لأنفسهم مجموعة من الأهداف ومنها: مهاجمة مؤسسة النجارة العامة التي كانت تملكها الفرنسية (سالرين)وتم إحراقها، في ذات الوقت غادر عمال المؤسسة للنجارة في وادي الماء باتجاه حامية باتنة فور تلقيهم خبر إحراق مؤسسة(سالرين) غير أن الثوار اعترضوا طريقهم قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى حامية باتنة وقتلوا منهم 12 رجلا وجرحوا آخرين. لجئوا إلى قصر الشيخ مسعود بن عبد الصمد في بوعريف ثم نزلوا في حماية قائد الحراكتة: «جرمة لخضر» فسعى إلى إيصالهم إلى حامية باتنة [1]. ونظرا لخطورة الوضع قام مجلس البلدية في باتنة بداية من 25 أفريل بتكوين ميليشيات مسلحة لدعم وتشديد الحراسة على منافذ البلدة.

وغير بعيد عن عين ياقوت انتقل «أودلير» إلى هناك وقامت ميليشياته إلى إعدام 32 مواطنا بعد أن قيدوهم مثنى مثنى فزاد هذا من غيظ المواطنين وانظموا بالمئات إلى الثوار ومما زاد في تأزم الوضع هو اتهام أحمد بن القاضي بالتعاون مع الثوار وتم عزله وتقديمه للمحاكمة فزاد ذلك من تعقيد الوضع وحمل ذلك للناس إلى اللجوء إلى العنف، وعندما علم الثوار باستشهاد المقراني في 5 ماي 1871 تجمعوا بجبل مستاوة لإعادة الهيكلة والتنظيم وبتاريخ 14 ماي 1871 اعترضوا قافلة فرنسية في وادي الشعبة[2] فانتقمت هذه القوات بإحراق قرية المقدم الرحماني أحمد الصديق[3].

---

(1)وادي الشعبة: يبعد عن باتنة بحوالي 12 كلم ويقع في سفح جبل الشلعلع أنظر:(جمعية أول نوفمبر ص:134).

(2) مسعود عثماني المرجع السابق، ص:107، 109.

(3) نفسه ص: 109.

كما أجبر الكولونيل (أودلير)على خوض قتال محتدم مع مجموعة الدروعـــي يوم 17 ماي قبل أن يتمكن من التمركز في الخانق الجبلي المسمى " تينزوار" وواجه المقدم (ماري، Marie) مقاومة أشد أثناء نزوله فج مروانة سعيا منه للالتحاق بالفليق المتمركز في سيدي عبد الرحمن،وفي نفس التاريخ وصل القايد بولخراص والقايد بن قانة إلى مكان التجمع وصدرت الأوامر للقبائل البدوية للإغارة على سكان سهل «الطاقا ».

واستمرت المقاومة أربعة أيام (17 ماي إلى 20 ماي 1871) ولم تتمكن الفيالق الفرنسية خلالها سوى الدوران حول الجبل عاجزة عن تسلق الصخور وأجبرت على التراجع نحو معسكرها في باتنة، لأن المواقع الحصينة التي لجأ إليها المقاومون لم تتأثر بقذائف المدفعية، وكانت الاشتباكات لصيقة وفي أغلب الأحيان لصالح المقاومين الذين كانوا يدحرجون الصخور على المغيرين.

وأسفر القتال عن خسائر كبيرة تمثلت في صفوف الفرنسيين: قتل 30 ضابطا وجرح 7 آخرين وقتل 13 جنديا وجرح 111 ووصف الجنرال (Lallemand) في تقريره هذا التمرد بأنه "من أشد المعارك دموية في حروبنا بإفريقيا"[1] وتقول بعض الروايات الفرنسية أن خسائر الثوار بلغت مائتي قتيل وألف ومائتي جريح [2].

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 168 .
(2) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص:109.

و قد ورد في كتاب الدكتور يحي بوعزيز حسب الرسائل التي عثر عليها في أرشيف مدينة قسنطينة أن الأحداث التي عرفتها منطقة الأوراس الغربي خلال ثورة المقراني في مراسلة بين القياد والكابتن (لويس رين Louis Rin) قائد أولاد سلطان «محمد باشتارزي» وخوجة قائد أولاد بوعون «لخضر القبايلي» أن الأشخاص الذين كانوا وراء هذه الأحداث هم من مقدمي الطريقة الرحمانية وحسب ما ورد فإن القبائل كانت: أولاد سلطان، أولاد شليح، أولاد فاطمة، أولاد رجاب، أثلاث، الحليمية، أولاد علي بن منصور والحيدوسيين وقبيلة بني يفرن يخبره بنشاط قبيلة بني يفرن في صناعة البارود وترويجه والقائد قام بتحطيم الأواني الطينية الخاصة بصناعة البارود.[1]

واستمر التمرد إلى غاية شهر سبتمبر حيث عاد الهدوء نسبيا وربما يعود ذلك إلى تراجع ثورة المقراني[2] أو تفرغ المواطنين إلى أعمال الحصاد.[3]

وكانت المعارك التي خاضها السكان بلزمة أكثر قوة وجدية بعد انتصار مستاوة حيث حوصر معسكر نقاوس وبرج أولاد بوعون مدة 20 يوما من طرف أولاد سلطان غير أنهم لم ينجحوا في ذلك واحتاجوا إلى مدفعية وفكروا في صنع واحد من خشب البلوط وكانت الفكرة من أحد المشتغلين بالمتفجرات من قبيلة أولاد فاطمة واسمه عمر أوموسى وكنيته (تاعلاوت)، (صاحب البرنوس) مما لاحظه من قوة المدفع في التدمير فكر في صنع واحد، وظن أنه بإمكانه تمكين إخوانه من النصر على الفرنسيين وسمي « مدفع الشيطان » وبعد أن تمت تعبئته بالبارود والحديد انفجر وفي المحاولة الثانية خلف قتيلين من الطرفين ومن بينهم المخترع نفسه[4] وتعد المحاولة دليلا صارخا على محاربة العدو بأي طريقة كانت، وبأي وسيلة وجدت.

---

(1) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص:653.

(2) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص: 111.

(3) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 168.

(4) نفسه، ص:169.

مما يلاحظ أن منطقة الأوراس الغربي كانت وحدها قد نشطت مع ثورة المقراني وسجلت حضورا مميزا في هذه الانتفاضة، بينما ظل عمق الأوراس وناحيته الشرقية بعيدا عن ذلك وظل هادئا حيث لم يكن لإتباع الشيخ الحداد نفوذا و مركزا كبيرا لأن السكان هناك كانوا مرتبطين بزاوية طولقة التي كان لها موقفا مناوئا لثورة المقراني [1] غير أن الأحداث إمتدت إلى ناحية بوحمامة بعمق الأوراس عندما لجأ إليها " عمر بن مسعود الخماتي " الذي كان أحد الأبطال البارزين في معركة جبل مستاوة.

فبعد أن إنفض جموع الثائرين من الناحية الغربية من الأوراس عاد إلى موطنه وسط القبيلة التي ينتمي إليها وهي قبيلة (البراجة) وانضم إليه بعض من أقاربه وبدأوا في مهاجمة المصالح الفرنسية بغابة " كيمل" وهكذا بعد أن خفت الانتفاضة تحولت المواجهة إلى حرب عصابات، وأصبحت تشكل خطرا حقيقيا يهدد الطرق والممرات في جزء كبير من الأوراس الشرقي. وحاول الجنرال (دولاكرواDe la croix) أن يستميلهم عن طريق الوعود والإغراءات حيث أوعز إلى الشيخ (محمد أورغال) على رأس جماعة من الأعيان أن يتصل بهم وأن يحاول إقناعهم بعدولهم عن الموقف المناوئ للسلطة الاستعمارية غير أن هذه الاتصالات والوعود لم تثمر شيئا ولم يجد دولاكروا بدأ من المواجهة وكلف قائد جبل ششار (أحمد بن ناصر) بالمهمة وعين هذا الأخير إبن أخيه محمد بلحاج على رأس مجموعة من القوم لرصد ومطاردة جماعة الخماتي [2].

---

(1)يحي بوعزيز، المرجع السابق(موضوعات وقضايا) ص: 645.

(2) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص: 112.

ب- نهاية المقاومة والقضاء على المقاومين:

غير أن المجموعة قتلت محمد بلحاج على رأس جبل« ملاقو» لكن القوات المحلية الموالية لفرنسا تمكنت فيما بعد من قتل عدد من عناصر المجموعة الثائرة.وبنية الثأر لمقتل محمد بلحاج قام عمه أحمد بن ناصر قائد جبل ششار بتجنيد مجموعة من «القوم» للبحث عن الخماتي و جماعته في جبل«ورشة» ببني ملول، كما تمركز النقيب (كاردو) في بوحمامة بداية من 5 أفريل 1873 وحاول هذا الأخير أن يتصل بالخماتي حيث بعث له رسالة مع رسولين فقتلهما. وانسحب إلى ناحية « شيليا » في محاولة منه الخروج من دائرة نشاط القوات الفرنسية والقوات الموالية لها.

فاتجه إلى ملاقو ثم إلى ناحية «قرن الكباش» ليوهم القوات الفرنسية بعزمه الذهاب إلى الجنوب التونسي ولكنه عاد فجأة إلى ناحية «إينوغيسن» بشليا ثم «تامزا» وهناك وقع في كمين دار بينه وبين القوات الفرنسية والموالين لها في معركة كبيرة أسفرت عن مقتله وحارسه عبدا الله بن الساحل وحزت رأساهما من قبل رجال«القوم» وحملتا إلى الضابط الفرنسي المسؤول.[1]

وبموت الخماتي تعود المنطقة إلى هدوء المشوب بالحذر، وبدأت معه مرحلة الاستسلام إثر تولي الجنرال (De la croix) قيادة فرقة قسنطينة وكلف هذا الأخير الجنرال (Saussier) بإعادة ترتيب الأوضاع المتردية منذ مدة طويلة[2] أي من قمع الإنتفاضات إلى مهمة القمع والحجز أو ما يسمى في التقارير الفرنسية عمليات "إعادة التنظيم" والتي دامت أطول مدة إلى غاية 1878 ومن جملة ما سلط على الأوراسيين حسب ما جاء به روبير آجرون من خلال تقارير الدوائر الفرنسية حول مظاهر الظلم والتعسف التي تميزت به ردود الفعل الفرنسية اتجاه هذه الانتفاضات.

---

(1) مسعود عثماني، المرجع السابق ص: 112- 113.
(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 169.

ومن أهمها الاستحواذ على أهم مصدر الرزق عندهم وهو الأرض، ولقد أجمع المؤرخون على الإعتراف بأن القمع الذي أعقب الإنتفاضة تم تسليطه على جموع الأهالي بدون أي تحفظ.[1]

ج- نتائجها على المستوى الشعبي:

حيث تمت مصادرة الأراضي وإلحاقها بأملاك الدولة وقدرت بـ:12,000 هكتار لأهل غوفي الذين هاجروا إلى تونس و 13,091 هكتار لأولاد سيدي عبيد والذين هاجروا بدورهم إلى تونس والتي كانت في الأساس عبارة عن بساتين وواحات، كما أجبر السكان في بلزمة بشراء أراضيهم من جديد وأن يتخلوا عن 13,091 هكتار من الأرض وأن يدفعوا 182,065 فرنك من الضرائب وكان الجشع الذي لا يخمد والذي تحدث عنه (De la sicotière) يتطلع أيضا للاستيلاء على ما كان يدعى الكنوز المكدسة من طرف القبائل في مناطقهم الجبلية، ولقد قدرت تلك الكنوز بمائة مليون فرنك نقدا، ويؤكد: «عندما يثور الأهالي معنى ذلك أنهم صاروا أغنياء وبالتالي ينبغي إفقارهم كوسيلة لضمان الأمن في تلك الجهة ».

« فكانت ضرائب الحرب هي الغرامة التي اقترحت وفرض على الأوراسيين أن يدفعوا 12 مرة ماعليهم من ضرائب سنوية ».

« كما حدد مبلغ 70 فرنكا لكل بندقية تشهرها القبيلة كإعلان عن عدوانيتها ومبلغ 140 فرنكا للقبيلة التي ساهمت بشكل فعلي في التمرد و 210 فرنكا للتي تميزت بعدوانية أكبر»، إلى جانب الحكم بالإعدام والنفي والسجن على كل المشاركين في الانتفاضة [1].

---

(1) شارل روبير آجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا(1871- 1919) ج1، دار الجرائد للكاتب. الجزائر ص: 50.

(2) نفسه، ص ص: 52-55.

المبحث الخامس:

ثورة الأوراس 1879:

أ_أسباب الثورة

ب_ إندلاع الثورة وأهم الأحداث فيها

ج_ مرحلة الهجوم الفرنسي لرد الحركة

د_ نهاية الثورة والعقوبات الفرنسية المسلطة على الثوار،

ثورة الأوراس 1879:

لقد أعطينا ولو فكرة بسيطة عن بعض المظالم المقترفة في حق المقاومين ولقد بلغت المصادرات والضرائب حدا يستحيل تقديره ويستحيل تقدير الأعباء التي سلطت على كواهل الناس بعد أن أرهقتهم الثورات ومخلفاتها وكانت كل الظروف الإقتصادية والإجتماعية المتردية، وضيق الأراضي المستغلة بطريقة بدائية ذات المردود الضعيف والمحاصيل المتردية ونكبات المجاعة 1864-1868 والتي تجددت عامي 1877-1878 تلاحق الفرد والمجتمع الأوراسي إلى جانب الرعاية الصحية المنعدمة والتي كانت تقوم على تقديم النذر وتعليق التمائم، وإستعمال النباتات الطبية أو اللجوء إلى المشعوذين على هذه الظروف التي كان يعيشها الفرد في الأوراس خاصة والجزائر عامة.

كان إندلاع الإنتفاضة في 1879 غير متوقع وفاجأ عددا كبيرا من الفرنسيين ممن إعتقدوا أن السيطرة على أهالي المنطقة كانت نهائية وأنه لا خوف من شيء لأن الناس أصبحوا معدومين بعد إنتهاء إنتفاضة 1871 وما آلت إليه من إستسلام وقمع للقبائل الثائرة والتي إعتقد من خلالها الفرنسيين أن البؤس والمجاعة قد أتيا على مقاومة الأوراسيين التي لم تنطفئ فيها جذوة الروح الوطنية ولم تفقد قوتها رغم المعاناة.

إندلعت إنتفاضة الأوراس 1879 أو ما يعرف (ثورة بن جار الله) أو (ثورة اللحالحة) أو ثورة (بوهقنوشت)[1] الأسماء كثيرة والحدث واحد ومفجر الإنتفاضة هو الإمام محمد بن جار الله.[2] ينتمي إلى عرش بني بوسليمان، وهو واحد من إخوان زاوية تيبرماسين الرحمانية. التي أسسها سي الصادق بلحاج.

أ- أسباب الثورة: ولقد تعددت العوامل والأسباب التي غذت هذه الانتفاضة نوجزها في:

1_ طبيعية: وتتمثل في الجفاف الذي حل بالمنطقة وتسبب في فقر عموم الناس إبتداء من: 1877 وأدى ذلك إلى نقص المواد الزراعية والحيوانية، وقد تضرر بنو سليمان ضررا بالغا في حيواناتهم، كما تضررت ثورة أولاد داود التوابة بسبب الجفاف في فم الطوب ولمدينة ودامت المجاعة ثلاث سنوات.

2_ الإجتماعية :فكانت في تصرف القياد وابتزازهم لخيرات السكان وأموالهم بلا شفقة ولا رحمة فقد شكا بنو سليمان من ظلم القايد (باشتارزي) في تكوت وذلك منذ 1875 باعتدائه على الحرمات، زيادة على تشدد حياة الضرائب ضدهم وأرهقوا بمستلزمات القواد والأغوات والإقطاعيين التي كانت تفرض عليهم كعربون طاعة وخضوع، وعانوا نتيجة لذلك من تشدد السماسرة اليهود والأوربيين في رفع نسب فوائد ربا الديون والقروض التي كانوا يأخذونها منهم.

---

(1) بوهقنوشت: لفظة محلية وتعني بوبرمة أو القدرة ينعته بها الفرنسيون وعملائهم إستنقاصا من قيمته وقدره في أعيان الناس أنظر:(جمعية أول نوفمبر، ص 145).

(2) محمد أمزيان بن محمد الصالح بن عبد الرحمان من قرية جار الله من عرش بني بوسليمان ويقال ولد في الخمسينيات إشتغل بتدريس القرآن والإمامة في مسجد سيدي عيسى بوقبرين بقرية جار الله التي تبعد حوالي 20 كلم من قرية تكوت إلتحق بقرية الحمام عند أولاد لحلوح فرع من فروع أولاد داود التوابة معلما للقرآن وإماما بمسجدها وذلك منذ 1875 أو 1877 كان مستقيما ومتدينا ومتابعا للطريقة الرحمانية يقال أن سبب تنقله إلى الحمام بأن أولاد بوسليمان كانوا قد عبروا عن إستعدادهم للاعتراف به كإمام المهدي ولكن عزم السلطات الفرنسية والعملاء على إعتقاله إلتجأ إلى اللحالحة بأولاد داود.
(82) إنتاج جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص ص: 144-145.
شارل روبير آجرون، المرجع السابق (الجزائريون المسلمون وفرنسا)، ص ص: 56-57.

وأشتكى أولاد أوجانة من خليفة القايد بوضياف الذي كان يرغمهم على إعداد الولائم رغم فقرهم وإرهاقهم بالضرائب الباهظة واشتكى أولاد داود(التوابة) من الهاشمي بوضياف الذي قال عنه أحد الشهود من أولاد وزة فرع من فروع أولاد داود لأنه كان يشترط عليهم وليمة كل يوم، في الوقت الذي كان فيه السكان يشترون النخالة لإطعام أولادهم، كما أنهم وجهوا رسالة طويلة يشتكون فيها القائد بوضياف إلى لجنة تحقيق جاء فيها: بأن بوضياف أخذ منهم قبل الثورة بشهر 400 نعجة و100 معزة و20 صاعا قمحا وتعدى على الحرمات وانتهك الرجولة بوضع شكيمة أو لجام لشخص من الزحافة[1].

3- ***دينية:*** لما كثرت الشكاوي من السكان ضد تصرفات القياد إتهموا رجال الزوايا بإستعمال الدين للتحريض على الثورة.

4- ***صراع العملاء:*** وهو الصراع الذي كان بين القواد العملاء الذي أوقعه بينهم بين العدو الفرنسي حتى يشتغلوا ببعضهم ويتبادل التهم كما حدث بين عائلة بن قانة [2] وعائلة بن شنوف [3] وتريد فرنسا من وراء ذلك أن تحافظ على التوازن بين العائلات الحاكمة ولصرف نظر الناس عن جوهر سياستها الإستعمارية[4].

5- ***سياسة التأييد لتصرفات القياد*** الذي كان يمارسها المكاتب العربية رغم ماكان يقدمه السكان من شكاوي ضد القياد.

---

(1) عبد الحميد زوزو، ثورة الأوراس 1879، موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص ص 68،75،81 (نماذج من الرسائل).

(2) عائلة بن قانة: أصلها من فرجيوة، ونفوذها كان من بسكرة والزيبان.

(3) عائلة بن شنوف: وهم من قبيلة أولاد صولة قرب سيدي عقبة ونفوذها بالأوراس(خنشلة) عينت السلطة الفرنسية قيادا من عائلات خاصة على سكان الأوراس عام 1870 وذلك كالتالي:
- أمحمد بن عباس: قائد على أولاد عبدي ومقره منعة.
- الميهوب بن شنوف قائد على بني بوسليمان ومقره تكوت.
- مصطفى بن شنوف قائد على بني يحمد ومقره مشونش.
- الهاشمي بن شنوف قائد على بني ملكم السراحنة والشرفاء وأولاد أيوب وأولاد عبد الرحمان أكباش وأولاد سليمان بن عيسة وأولاد زرارة ومقره مشونش أيضا.
- الهاشمي بوضياف: قائد على التوابة وهو من عائلة أولاد بلقاسم ومقره العناصر بـ (لمدينة)، أنظر:(جمعية أول نوفمبر، الأوراس)، ص: 225.

(4) يحي بوعزيز المرجع السابق، ثورات القرن 19، ص: 288.

فإن" المكاتب العربية "[1] دائما تقف إلى جانب القياد للضغط على السكان وابتزاز أموالهم وسلب أراضيهم وهذا ما عبر عنه الجنرال (فريجمول) بقوله مخاطبا مجموعة من سجناء الثورة بقوله (لقد هزمناكم وأننا قوة لا تقهر فاتعظوا)[2].

---

(1) المكاتب العربية (بيرو أراب): جهاز إداري خاص وضعيته الإدارية الفرنسية منذ 1833 لتنظيم كيفية التعامل مع الجزائريين حتى تسهل عملية إخضاعهم وعوضت هذه بالفرق الإدارية المتخصصة (S.A.S)منذ 1957. كما عينت السلطة الفرنسية على كل عرش من الأعراش (شيخا) ليكون واسطة بينهم وبين السكان ويتمثل دوره كالآتي:

_ تبليغ المعلومات(القايد) عن أوضاع كل الشعب.

_ تنفيذ الأوامر التي يزودها بها.

_ جمع الضرائب من مكاسب الأهالي.

_ خدمة القياد وتنفيذ أوامره في العرش.

أنظر:(جمعية أول نوفمبر المرجع السابق)، ص 225.

(2) نفسه ص: 146.

هذا الوضع الإقتصادي والسياسي الذي ساعد على الإنتفاضة، أما على الصعيد الإداري فكان الأخطر، فمن الناحية الإدارية كانت المنطقة تخضع للنظـام العسكـري الذي يدير شؤونه المكتب العربي بواسطة القياد الذين جندتهم فرنسا أتباعا وأذنابا سواء كمقاتلين وأعيان أو جواسيس من مختلف الشرائح فكانوا آداة طيعة في يد الإستعمار فكانت لهم اليد الطولى في ضرب وحدة المجتمع وتفكيك أوامره وقد أختبروا بعناية وروعي في ذلك النفوذ الإستقراطي الحزبي أو الديني بوضياف بن محمد من عائلة بلقاسم التي توارثت القيادة والمشيخة منذ أواخر العهد العثماني فقد ولي بوضياف شؤون أولاد داود منذ سنة 1850 إلى 1878 ثم ترك مكانه إلى إبنه السي الهاشمي ليتولى قيادة بني وجانة خلفا للقائد باشتارزي الذي كان قد نقل إلى قيادة أحمر خدو وبني بوسليمان بجنـوب الأوراس فـي مكـان الموهـوب بـن أحمـد بن شنـوف، وكان محمد بن سديرة بن الشيخ العربي من عائلة أولاد بلقاسم قائدا على قبيلة الأعشاش.

أما الأوراس الغربي فكان من نصيب محمد بلعباس الذي عين قائدا في 1846 وقد روعي في هذا الأخير ماكان يتمتع به من نفوذ ديني بناحية أولاد عيدي ووادي الطاقة وكان محمد الطيب بناصر قائد على جبل ششار وهو كبلعباس من حيث نفوذه الديني وانتمائه لزاوية خنقة سيدي ناجي وكان هؤلاء القياد يعملن في إطار التقسيمات الإدارية التي أقامها الفرنسيون.

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (ثورة الأوراس 1879) ص: 33 .

وكان هؤلاء القياد يعملون في إطار التقسيمات الإدارية التي أمامها الفرنسيون في هيئة شعب عسكرية بدوائرها وملحقاتها الفرعية.

وقد تطورت التنظيمات العسكرية في الأوراس بالشكل الآتي:

_ فدائرة باتنة وتشمل قيادة الأعشاش أولاد داود وأولاد عبدي وبنو وجانة من 1847 إلى 1886.

_ دائرة خنشلة استحدثت 1873 بعد أن كانت تابعة ببني بوسليمان وأحمر خدو وتأسست سنة 1874 إلى 1902.[1]

(1) تطورت التنظيمات العسكرية في الأوراس على الشكل التالي:

- من 22 جوان 1844 إلى أول فيفري 1847 كانت المنطقة تخضع للقيادة العسكرية العليا ثم تحولت إلى شعبة عسكرية من 1847 إلى 1905 وضمن الشعبة استحدثت الدوائر المختلفة، دائرة باتنة من 1846 إلى 1886، ودائرة خنشلة من 1873 بعد أن كانت مركزا عسكريا يتبع دائرة باتنة.
- وألغيت دائرة خنشلة في نوفمبر 1902 حيث ألحقت أجزاء منها بمناطق الجنوب وأجزاء أخرى بدائرة خنشلة بموجب مرسوم أوت 1905.أنظر: عبد الحميد زوزو، المرجع السابق،ثورة الأوراس 1879، ص: 33.

أما التنظيم على المستوى المحلي فقد ظل في إطاره التقليدي ولم يتطور أي أن المجتمع بقي مهيكلا في إطار القبيلة ولم يتجاوزها ولما لم يكن بإمكانها التغلغل في أعماق كل قبيلة وأن تدرس مختلف التركيبات الإجتماعية كلا على حدى ولم تتمكن من تحديد عوامل قوتها وأسباب ضعفها، فقد راحت تبحث عن إطار آخر يكون أكثر ملائمة ويشكل مركز قوة ونفوذ لها وضغط تستطيع أن تراهن عليه، ولم تلبث هذه القوات في المنطقة وعلى رأسها النقيب (Louis Rin) مسؤول المكتب العربي بباتنة أن وجدت في الزوايا الدينية ضالتها المنشودة بعد أن عرفت سيطرة شيوخ الزوايا على نفوس المسلمين وعلى العقليات الساذجة والتي كانت تشكل الشريحة الواسعة في المجتمع الجزائري والأوراسي خاصة، وذلك لغياب مؤسسات التكوين والتأهيل التي تحرر العقل وتنير الفكر فسعت إلى ربط صلات بهذه المؤسسات الدينية حتى تتمكن من إستخدامها عند الحاجة للتأثير على السكان في إنجاز مشاريعها كمسح الأراضي، إنشاء أبراج مراقبة، مراقبة الملكية العامة، إنشاء نظام الجباية رغم أن الزوايا في الأوراس قليلة العدد حديثة الإنشاء معظمها يعتبر إمتدادا أو فروعا لزوايا أخرى ذات شهرة كبيرة وقد إستطاع (Rin رين) أن يضبط إحصاء تقريبا لهم حسب الطريقة.[1]

---

(1) مسعود عثماني ، المرجع السابق، ص: 118

هذا الإحصاء خاص بالمنطقة ذات الحكم العسكري حسب (Rin رين):

بسكرة 13870 رحمانيا من مجموع المنخرطين البالغ عددهم 28254 والباقي موزعون على الطرق الأخرى (التيجانية 2330، القادرية 1620، الشادلية205).

باتنة: (القادرية 1620، الرحمانية 1099، الدردورية" الأحباب " 600).

خنشلة: الرحمانية 2687، التيجانية 79، القادرية 33.

(مسعود عثماني ، نفسه، ص: 118).

وكان القياد يجدون في شيوخ الزوايا منافسين لهم على النفوذ في أوساط القبائل والعشائر وكلا الطرفين كان له سلاحه المؤثر، القياد بسلطاتهم الإدارية والمدعمة بالسلطة العسكرية التي لا ترحم، ورجال الدين الذين يجدون في الدين سلاحهم الروحي القوي.

وموضوع التنافس بين رجال الزوايا ورجال السلطة الفرنسية له جانبين جانب سياسي فيما يقوم به القياد من إقرار للسلطة الفرنسية بصفتهم ممثلين لها، وفيما يبديه رجال الزوايا من تحفظ أو ما يخفونه من معارضة إزاء هذه السلطة بإعبارهم سلطة أيضا وجانب معاشي يتمثل فيما يحصل عليه الشيوخ من هدايا وزيارات كان الأهالي يؤدونها إليهم طوعا وكان القياد يأخذونها منهم كرها.[1]

وكان هذا الأمر هو الذي أشعل الثورة وهو التنافر بين القياد ورجال الزوايا.

ب- إندلاع الثورة وإستعدادات الفرنسيين للقضاء عليها:

إندلعت الإنتفاضة المسلحة في منطقة جبال الأوراس الغربية أواخر شهر ماي 1879 (30 ماي 1879) بزعامة الشيخ محمد أمزيان بن عبد الرحمان الذي يعرف في المنطقة بإسم محمد بن جار الله ويلقبه الناس بإسم الشيخ (بوبرمة) كما روى ذلك لوسياني[2]

وبفضل منصبه الديني حاول أن يحي سيرة سي الصادق وابنه سي براهيم فأخذ يوسع نفوذه الديني، ويكثر من الأنصار والأتباع وبحلول عام1879 بدأ الشيخ (بوبرمة) يظهر العداء للسلطة الفرنسية المحتلة واستغل مركزه الديني ليؤثر على جماهير السكان.

---

(1) عبد الحميد زوزو ، ثورة الأوراس 1879، ص: 32.

(2) يحي بوعزيز، المرجع السابق، (ثورات القرن 19) ص: 289.

وفي الثلاثين من ماي 1879 أخبر القائد الهاشمي بوضياف بمقر قيادته بقرية العناصر[1] إشمول، بوجود تمرد بقرية الحمام يقوده محمد أمزيان بن عبد الرحمان إمام ومعلم قرآن بالقرية مدعوم بعناصر من القرية[2] وإستنادا إلى أخبار هذه الرسالة كلف القائد الهاشمي عددا من الأعيان ليذهبوا إليه ويعتقلوه[3]وهما عوني حرسه الخاص المعروفين باسم " الدوايرّ" وهما محمد شوشان، وعمار بن عبد الله وأمرهما بإلقاء القبض عليه وقيادته إلى العناصر حيث يوجد مقره، ولما حاولا القبض عليه واقتياده تصدت لهما عناصر ممن كانوا في حراسته من قبيلة اللحالحة ومنعوهم من ذلك، وأمام إصرار (الدوايرّ) على تنفيذ أمر القبض، قابله إصرار مماثل من قبل السكان على حماية زعيم الحركة وسرعان ما أخذت الأحداث منعرجا خطيرا فكانت الشرارة الأولى رصاصتان إستقرت الأولى في رأس العون عمار إبن عبد الله فسقط من على جواده صريعا، وأصابت الثانية محمد بن شوشان لكنه تمكن من الفرار[4]

وعند حلول الليل كانت إشارة الإنتفاضة العامة قد أعطيت فتوجه الرجال وعددهم 30 راجلا و 4 فرسان وكلهم من اللحالحة إلى العناصر[5]

---

(1) قرية العناصر: مكان فلاحي، يقع على ربوة تشرف على سهل ""المدينة"" يحدها شرقا جبل شيليا وغربا جبل إشمول أنظر: جمعية أول نوفمبر، ص: 123.

(2) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص: 131.

(3) يحي بوعزيز، المرجع السابق،(ثورات القرن 19)، ص:290.

(4) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص: 131.

يوجد خلاف في المراجع فمن أوصل الخير للقايد بوضياف فهناك من يقول: والده الذي كان عونا للفرنسيين وهناك من ينسب الخبر للشيخ اللحالحة محمد بن عثمان، ومرجع آخر يقول أن من أوصل الخبر كان الصالح بن عمار لمحية.

(5) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي 1837-1939 ج1، ص: 172.

لإعتراض سبيل القائد الهاشمي بن بوضياف الذي يحاول إعتقالهم ولكنهم لم يظفروا به لأنه أحس بالخطر فانسحب من معسكره إلـى قرية الـربع حيث كـان أبوه بوضياف بن محمد قائد بني وجانة[1] وتحول الثوار مباشرة إلى قرية تكوت حيث يوجد قائد (أحمر خدو، مصطفى بشتارزي قائد بني بوسليمان فاغتالوه وحزوا رأسه مع بعض أعوانه، وعادوا رفقة عدد معتبر من رجال بني سليمان إلى العناصر حيث كان رئيس مكتب الشؤون العربية في باتنة وهو الملازم(courbé)[2]

وفي ليلة 1 جوان واصل الثوار هجومهم وقتلوا محمد بن بوضياف قائد أولاد أوجانة مع ضابط فرنسي وتسعة من الدوايـر "الصبايحية" وأنتفض أولاد والأعشـاش الذين كانوا في مساندة القياد.

وأحدث موت القياد بوضياف وإنسحاب (القومية) بأعداد كبيرة تأثيرا كبيرا حرك النخوة في القبائل البعيدة رغم التدابير التي إتخذها رؤساء مكاتب الشؤون العربية في كل من بسكرة وخنشلة للتقليل من أهمية حدث العناصر فقد انضمت قبيلة بني بوسليمان برمتها إلى أولاد داود الذين احتضنوا قضية محمد بن جار الله بعدما إقتنعوا بصدق بركته في معركة 1 جوان وإلتحق به الشرفاء، وأولاد علي بن فلوس من بني وجانة بخنشلة وإنظم كل من بني ملكن والسراحنة وأولاد سيدي محمد من أحمر خدو.

---

(1) يحي بوعزيز، المرجع السابق،(ثورات القرن 19) ص: 291.
(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (ثورة الأوراس 1879) ص: 42.
(3) جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق،(جمعية أول نوفمبر) ص: 147.

ثم جاء دور الحسن بلعباس إبن قايد أولاد عبدي، وقد تعزز صف جماعة الثوار[1] في ليلة الخامس والسادس من شهر جوان وكان معتصما ببرج وادي الطاقة ومعسكرا مع مائتين من رجاله المسلحين على حدود قبيلته لمنع الثوار من اجتياز المنطقة التي يديرها وغلق الطريق في وجوههم، إلا أن الهجوم القوي الذي شنه الثوار اضطرهم إلى الانسحاب والاحتماء بالبرج حيث لوحقوا، وقتل منهم الكثير من بينهم لحسن بلعباس وخليفته دعاس وباش عادل معيوف وشيخ أم الرخاء.[2]

(1) يقدر الفرنسيون عدد الثوار أثناء هجومهم على القايد بلعباس بألف ومائتين، أما عدد ماكان مع بلعباس مائتين فقط، كما يقدرون ضحايا الجانب الأخير زيادة على ما ذكر في المتن بخادمين وتسعة من القوم وثلاثة جرحى وأسر قاض وحفيده، وغنم الثوار ما بين 40 و50 فرسا. أما الجانب الأول قد فقد سبعة مقاتلين.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع نفسه (ثورة الأوراس) ص: 43.

وتكبر قومية أولاد عبدي 9 قتلى و3 جرحى وسلب منهم حوالي 40 إلى 50 حصانا[1] بنجاح هذه الهجمات انتشرت أخبار الثورة في جميع أرجاء المنطقة فأدخلت الأمل في نفوس المضطهدين وأصبحت أملا في الخلاص من براثن العدو، وأدخلت الهلع في نفوس الموالين لفرنسا.

أما الشيخ بوبرمة محمد أمزيان فقد إهتم بمراسلة سكان المناطق المجاورة بحثهم فيها على حمل السلاح والانضمام إلى صفوف المجاهدين وأدعى للناس بأن الفرنسيين لم تبق لهم أية قوة في هذه البلاد وأن هزيمتهم محققة، وكان من ضمن من كاتبهم قبائل الحراكتة بالأوراس (عين البيضاء، أم البواقي، مسكانة وسدراتة).

"وأورد لوسياني نموذجا لهذه المراسلات برسالة موجهة إلى أولاد عيسى إدعى أنه تسلمها من أحد مقدمي الطريقة الرحمانية بالمنطقة الذي رجاه ألا يعلن عن إسمه كما إدعى أن رسالة مماثلة لها إنتزاعها القائد علي بن العربي بن بوزيد من أحد الرسل الذين أوقفهم، وسلمها إلى رئيس المكتب العربي بعين البيضاء"

ولم يكتف محمد أمزيان بمراسلة السكان ومكاتبهم، فاتخذ بعض الإجراءات التنظيمية الأخرى، وعين إبن محمد بن الطرابلسي خليفة له وكلفه بأمور الحرب والجهاد، وأتخذ قرية الحمام مركزا لنشاطه ورفع علم الجهاد على مناورة المسجد سيدي فتح الله بالقرية، وخلع لنفسه لقب عبد الله الفاطمي ليوحي للناس بأنه الإمام المهدي المنتظر[2]

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق(الأوراس إبان ثورة الإستعمار الفرنسي 1839-1873)، ج1، ص:173.

(2) يحي بوعزيز، المرجع السابق، (ثورات القرن التاسع عشر) ص: 292.

ج- مرحلة الهجوم الفرنسي لرد الحركة:

نظرا لخطورة الحركة وتوسعها وتطورها على هذا الشكل إهتم الفرنسيون بالأمر وطلب حاكم مقاطعة قسنطينة من الجنرال فورجيمول دوبوسكينار(Forgemol de Bostquenard) أن يعد ويجهز ثلاث فرق عسكرية من أماكن مختلفة (قسنطينة، باتنة خنشلة، بسكرة) لمحاصرة قرية لمدينة التي تقع في مركز وسط باتنة وخنشلة والقنطرة وذلك لمحاصرة الثوار والتضييق عليهم وحصار الحركة حتى لا تنتشر.[1]

_ الطابور الأول تجهز من مدينة باتنة بقيادة الجنرال لوجرو(Logerot) .

_ الطابور الثاني تجهز من بسكرة بقيادة الكولونيل كاجار (Gajard).

_ الطابور الثالث تجهز من خنشلة بقيادة الكولونيل قوم(Gaume).

وأعطيت الأوامر إلى المسؤولين في كل من عنابة وسكيكدة وقسنطينة وسطيف والجزائر العاصمة ليعدوا قوات أخرى ويعجلوا بإرسالها إلى المنطقة مما يدل على خطورة الحركة والتمرد[2].

ووقع اللقاء بين الثوار والحملة الفرنسية القادمة من قسنطينة وباتنة في سهل الربع شرق تيمقاد بستة فيالق بقيادة (فورجيمول) ويساعده اللواء لوجرو في ليلتي 8 و9 من شهر جوان 1879 وكان عدد الثوار مابين 800 و 900 راجل و 50 فارسا[3] أما القوات الفرنسية فكانت تقدر بـ: 984 عسكريا و 30 ضابطا بوسائل نقل تساوي 186 حصانا و 80 بغلا لتقوم هذه القوات مجتمعة بالتمركز في الربع من فم الطوب ثم تشق طريقها على عدة محاور تلتقي جميعها في إشمول منطلق الإنتفاضة[4] وقد أنظم إلى المعركة الفارون والملاحقون من طرف العدو منذ 1874 من بني بوسليمان وبني وجانة وأولاد زيان الذين قاموا بثورة 1871 بعد الدمار الكلي الذي لحقهم من طرف الفرنسيين.

(1) يحي بوعزيز، المرجع السابق، (ثورات القرن التاسع عشر)، ص: 293.

(2) نفسه ص: 293.

(3) إنتاج جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص: 147.

(4) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص: 38.

وأثناء تقدمها تعرضت لهجوم مباغت في مكان يدعى (الأرباع) يوم 15 جوان فردت بتدمير المنازل وكل مظاهر العمران وخسر الثوار في هذه المعركة 122 قتيلا[1] مقابل 5 قتلى وعشرة جرحى من جانب الفرنسيين.[2]

أما الرتل الثاني والذي إنطلق من بسكرة بقوة عسكرية قوامها 3 فيالق وسريتان وفرقتان للخيالة وسريتان من السبايس، وفرقتين من فرق صيادي الجبل والذي أسندت قواتها إلى العقيد كاجار (Cajard).[3]

ومهمة هذا الطابور السير بمحاذاة الوادي الأبيض لاكتشاف الوضع وتأمين الناحية الجنوبية والغربية من الأوراس، تجتاز خلالها عدة مواقع هامة محيطة بمركز الإنتفاضة وتمنع الثائرين من التسرب إلى الجنوب لتحتل بذلك أهم منفذ يمكن أن يستغله الثوار[4]حيث خاضوا المعركة في مضيق تيغنامين ثم توجهت القوات إلى (سانف) يوم 17 جوان ومن هناك عبر العقيد كاجار بقواته الوادي الأبيض وذراع الأكحل حيث عسكر في تيزقاغين.

---

(1) جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص ص 135-147

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (ثورة الأوراس 1879)، ص:45.

(3) جمعية أول نوفمبر، ص: 135.

(4) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص: 138.

- مضيق تيغنامين: يبعد عن أريس بـ: 18 كلم وعن باتنة بـ: 78 كلم كان أول مكان في الفاتح من نوفمبر 1954 يتعرض فيه المجاهدون للفرنسيين وأعوانهم، وقد قتل يومها الفرنسي (مارنوت وأصيبت زوجته) وقتل فيه القائد الصادق رمز الظلم.
- تيزقاغين: يقع قرب جبل شليا وقريب من قرية (اينوغيسن) بني بوسليمان

يقول عبد الحميد زوزو حسب مصادره (Archives Maroc) حسب تقرير فرنسي يصف معركة الأرباع كالتالي: بعد ذكره لمختلف الكتائب والكوكبات والفيالق ورجال القوم الذين كانوا تحت قيادة بن سديرة ونائب المكتب العربي بباتنة يقول بأن المعركة مرت بمرحلتين إبتدأت الأولى خلال ليلة التاسع جوان، حوالي الساعة الثانية والنصف ليلا ، كان الهجوم عنيفا (هجوم الثوار) إضطر بعض القوات التي كانت على بعد حوالي 300 متر من المركز إلى التراجع، وقد دام الهجوم حتى الساعة الرابعة صباحا.أما المرحلة الثانية فهي التي تمكن فيها الجيش الفرنسي بعد إشتباك مكثف بالنيران من رد الثوار على أعقابهم وتعقبهم من طرف القوم الصبايحية حتى الرحى الذي كان يمتلكه بوضياف على بعد كيلومترين من المعسكر ثم أبعدوا ثانية كيلومترين آخرين إلى أن إلتحقوا بالمرتفعات المجاورة. ويذكر التقرير عدد الثوار كان يتراوح مابين 800 و 900 راجل وحوالي 50 فارسا أما عن الخسائر فإنه يذكر من جانب الفرنسيين 4 قتلى من القناصة الأهالي ومقتل واحد من القوم و 9 جرحى من بينهم فرنسي واحد أما من جانب الثوار فيذكر بأنهم خلفوا في الميدان 66 قتيل ومثلهم جرحى، أنظر ثورة الأوراس، ص:47.

أما الطابور الثالث المنطلق من خنشلة باتجاه إيشمول عن طريق ملاقو حيث قبائل بني وجانة التي تجاوبت مع الأحداث واستجابت لنداء زعيم الثورة وكانت هذه القوات بقيادة العقيد (قوم) (Gume)[1].

وفي الوقت الذي كان فيه الفرنسيون يقومون بهذه الإستعدادات الواسعة إتجه زعيم الثورة محمد أمزيان ورفاقه إلى عمق غابة (كيمل) بزاوية سيدي فتح الله بواد الشرفاء التابعة لقيادة أحمر خدو، وذلك لدراسة الوضع على ضوء إستعدادات عدوهم، لكن الفرنسيين لم يتركوا لهم الوقت والفرصة فجندوا ضدهم قوم عرب قبالة، وعرب شراقة ومن أولاد بسكرة والصحاري وتقدمت قوات كاجار نحو الزاوية وهاجم قوم باشتارزي الثوار يوم 19 جوان وقتلوا منهم حوالي 80 شخصا من قرية بني بوسليمان وجرحوا عددا آخر، وأسروا أربعين[2]

في حين لم يجد طابور خنشلة وبسكرة من جهتها صعوبة في التقدم والتغلب على السكان الذين دافعوا عن أنفسهم في أماكن عديدة ففي جهة تغانمين خسر الثواربل السكان الثائرون 27 رجلا و12 إمرأة و14 طفلا وكان عددهم 150 شخصا ومن طابور بسكرة في تيزقاغين جرح فيها إثنان من القوم وفي واد نورسن ضد طابور خنشلة أصيب من جانب الفرنسيين تسعة بجروح مقابل مقتل أشخاص وأسر ثماني نساء من السكان.[3]

(1) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص: 139.

(2) يحي بوعزيز، المرجع السابق،(ثورات القرن 19) ص: 295.

(3) عبد الحميد زوزو (المرجع السابق) (ثورة الأوراس 1879) ص: 48.

وبالنظر إلى الخسائر التي مني بها الثوار مع الطوابير الثلاثة، فإن طابور (فورجمول) يكون قد حسم الموقف لصالحه في أول معركة جرت في الربع بتسجيله لخسارة فادحة في صفوف الثوار خلال ساعات قدرت بـ: 122 قتيلا، شعر القائد بعدها بأن الثوار لن يستفيقوا من هول الصدمة بسرعة فقرر التقدم على عدة محاور في اتجاه "لمدينة" بإشمول قبل أن يعيد الثوار تنظيم أنفسهم والإستعداد للمواجهة، وقصد إثارة الفزع وزرع الرعب في نفوس السكان، وكانت القوات الفرنسية تغتال كل مشتبه به ولو طلب الأمان وتحرق القرى وتصادر المواشي وتتلف الممتلكات خلال زحفها على المناطق الجبلية بين فم الطوب ولمدينة بحثا عن الثوار، وفي قرية أم عشرة تجددت المواجهة بتاريخ 15 جوان دامت عدة ساعات، ومن خلال نتائج المعركة والتي تشير فيها التقارير الفرنسية فإن خسائر الثوار بلغت 34 قتيلا مقابل لاشيء من جانب القوات الفرنسية بيد أن الثوار أخذوا على حين غرة، كما تقدر التقارير الفرنسية أن عدد الثوار في هذه المعركة كان 700 ثائر، ولم تحدث بعدها أنه مواجهة خاصة بعد تمركز الطوابير الثلاثة في سهل لمدينة وانتشارها في مختلف المناطق المحيطة بها واستباحت ممتلكات المواطنين بالنهب والسلب والتدمير والحرق فتمكنت من السيطرة على الموقف.[1]

(1) مسعود عثماني ، المرجع السابق، ص: 142.

ونظرا لاشتداد الضغط من طرف القوات الفرنسية وكثرة تخريباتها ودخول الثورة مرحلتها الأخيرة وذلك بدءا من 17 إلى 27 جوان وكانت وبالا على جميع السكان سواء من طلب الأمان أو من فضلا لنزوح إلى تونس[1]وأنسحب محمد أمزيان وأنصاره إلى الجنوب الشرقي مرارا بقرية زريبة الواد وواصلوا إلى نقرين في29 جوان ومن هناك عبروا الحدود إلى منطقة الجريد بتونس صحبة نسائهم وأطفالهم، بعد أن فقدوا ثلاثمائة شخص في طريق ماتوا من الجوع والعطش وشدة الحرارة وضراوة الحرب، عثرت عليهم القوات الفرنسية حينما كانت تطاردهم من مدينة تبسة مرمين في العراء على الرمال في شكل مجموعات متناثرة هنا وهناك ثلاثة، وأربعة، وخمسة وكان البعض منها عبارة عن هياكل عظيمة ممسوكة بالجلود اليابسة مما يدل على مدى ما كان يعانوه خلال هذه الحركة.[2]

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (ثورة الأوراس 1879) ص: 49

(2) Henri Garrot _p_994

د- نهاية الثورة والعقوبات الفرنسية:

إن الثورة كانت عارمة بحق وزعزعت أركان الغزاة، إلا أنها ما لبثت أن سكنت نتيجة الضربات القاسية ضد أبطالها وكعادة السلطات الفرنسية فإنها بعد كل ثورة تطبق عقوبات صارمة ضد سكان المناطق المشاركة في الثورة دون استثناء فكانت النتائج أن صادرت أملاك الثوار، والمؤيدين لها بصورة جماعية، وفرضت غرامات مالية زادت عشرين مرة على الضريبة العادية، وخاصة على سكان اللحالحة وأولاد داود وبني بوسليمان، فصادرت الأراضي ما قيمته 2777 هكتار من أولاد داود وحدهم وكانت من أجود الأراضي إلى جانب قطعان المواشي والأغنام وإحتجزت الرهائن حتى من طلبوا الأمان حيث تم تسليم 168 رهينة 77 من أولاد داود و70 من بني بوسليمان و 21 من بني وجانة، وحرق العديد من القرى إنتقاما من السكان كالحجاج وأولاد موسى والحمام وتغالمين[2].

في نفس الوقت ألقي القبض على قائد الثورة الشيخ محمد أمزيان ومن كان معه بعد أن سلمتهم السلطات التونسية بعد أن تم القبض عليهم في مدينة نفطة إلى السلطات الفرنسية التي قدمتهم للمحاكمة أمام مجلس عسكري بقسنطينة في شهر جوان 1880 بعد مرور عام من إندلاع الثورة وكان عددهم 55 شخصا وأصدر المجلس العسكري أحكامه ضدهم يوم 16 جوان على الشكل الآتي:

---

(1) شارل روبيرآجرون، المصدر السابق، ص ص: 59-60.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق،(ثورة الأوراس 1879) ص: 49.

_ أربعة عشرة شخصا بالإعدام، وعلى رأسهم زعيم الثورة محمد أمزيان

_ سبعة أشخاص بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات

_ شخصان بالإقامة الجبرية لمدة خمس سنوات

_ ستة عشر شخصا برئت ساحتهم، وأطلق سراحهم

وبعد صدور هذه الأحكام حاولت السلطات الفرنسية أن تتظاهر بالرفق والرأفة فأصدرت عفوا جزئيا على المحكوم عليهم بالإعدام وعوضتها بالأشغال الشاقة المؤبدة.[1]

وكان محمد أمزيان بن عبد الرحمان قبل تقديمه للمحاكمة قد كتب رسالة طويلة إلى رئيس المجلس العسكري يوم 24 جوان 1880 أورد مارقون(Margon) نص ترجمة لها بالفرنسية وحاول أن ينفي عن نفسه وعن رفاقه التهم الموجة ضدهم وأكد أن المسؤول عن كل ما حصل من الشغب والقتل والحرق والتخريب والتشريد هم الضباط الفرنسيون وأعوانهم وجماعة باشتارزي[2]

---

(1) إنتاج جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق/ ص: 136.

(2) يحي بوعزيز، المرجع السابق،(الثورات القرن 19) ص: 296

- ويورد عبد الحميد زوزو في ثورة الأوراس 1879 بأن عملية القبض على محمد أمزيان بتونس تم بفعل متابعة القنصلية الفرنسية بتونس للأحداث وجواسيس كل من القايد بلعباس والقايد سي أحمد بن فرحات الذين أرسلوا إلى الجريد التونسي لنقل أخبار عن تنقلاته.

أما سكان المنطقة فهم يتناقلون الخبر بأنه إلتجأ إلى ليبيا ومن ثمة لا يعرفون عنه شيأ إلا أن بعض التقارير الفرنسية غير المؤكدة تشير إلى إستقراره بعد قراره بجدة بالأماكن المقدسة إلى أن توفي سنة 1889.

- كما أورد قائمة بأسماء الأهالي من أولاد عبدي الذين أبعدوا إلى كولرسيكا ومنهم الشيخ الهاشمي بن علي دردور شيخ زاوية مدرونة بوادي عبدي وعلى خمسة من مقدميه أنظر: (ثورة الأوراس 1879)، ص:48.

المبحث السادس:

ثورة الأوراس 1916

أ - أسباب الثورة ودوافع قيامها

ب- بداية الثورة

ج- نهاية الثورة وآثارها على السكان.

ثـورة الأوراس 1916:

لقد كانت السياسة الفرنسية في الجزائر تسير من السيئ إلى الأسوأ وخاصة في منطقة الأوراس وما شاهدته من عقوبات خلال ثورات وانتفاضات وتمردات القرن التاسع عشر، وخلال مطلع القرن العشرين ازدادت مطامع الفرنسيين وتطورت على جميع المستويات الإجتماعية والاقتصادية والثقافية خاصة مع زيادة الاستيطان الأوربي واغتصاب الأراضي والأملاك وتعسف الإدارة الفرنسية في إصدار القوانين ومنها قانون 27 أفريل 1887 الخاص بمصادرة الأراضي وصولا إلى الغابات والأراضي الرعوية التي لا يملكها الفلاحون في جميع المناطق الجبلية والصحراوية التي تقطنها القبائل الأوراسية باعتبارها مساحات شاغرة لا مالك لها وتجوز مصادرتها لتصبح ضمن أملاك الدولة، ولقد كان لتصرفات القياد تجاه السكان واحدة من الأسباب التي قامت من أجلها الانتفاضات الشعبية والتي قهرت وجلبت بعدها الدماء والشفاء ومصادرة الأراضي، وإنشاء المستوطنات للمعمرين الأوربيين على أراضيهم خاصة عام 1903 وكمثال على ذلك في مروانة (كوناري) وواد الماء (برينل) وسريانة (باستور)[1] مما اضطر السكان إلى الهجرة والتنقل إلى غابات بلزمة ليصلحوا بعض الأراضي ويرعوا أغنامهم وخاصة من القبائل التي قادت الانتفاضات كأعراش أولاد سلطان،أولاد بوعون، أولاد فاضل، بني وجانة وأولاد حليمة وحتى في هذه الغابات لاحقهم حراس الغابات وضايقوهم واعتقلوا الكثير منهم وقدموا للمحاكمة في محكمة باتنة وأصدرت ضدهم أحكاما ب: 200 سنة أشغالا شاقة في ظرف 18 شهرا فتضاعف بذلك شقائهم واستدعائهم للإدارة الفرنسية. [2]

---

(1)آجرون الجزائر الجزائرية من نابليون الثالث إلى ديغول (باريس1980) ص ص:97-98.

(2)نفسه، ص:109

ويذكر (Dupont) أن من أسباب ثورة 1916 تلك التصرفات التي كان يقوم بها القياد والمعمرون الإداريون، ولكن كل هذا كان باسم الحكومة الفرنسية التي تحمي هؤلاء المجرمين عندما يتعرضون للخطر، ونتيجة لتشجيع النعرات والظلم فقد تحول الأوراس خلال هذه الفترة إلى مسرح للكثير من العمليات والاغتيالات، وكانت الإدارة دائما تقف مع عملائها، فعندما تشعر بالخطر يهددهم تتدخل بالمال والرجال حيث توجه حملات عسكرية للقمع من أجل إخضاعهم هذا في الداخل، أما في الخارج فكانت بوادر الحرب العالمية الأولى بحيث حدثت تطورات سياسية خطيرة. وعلى اثر هذا الخوف تألفت في فرنسا لجنة خاصة كلفت بوضع قوانين خاصة لتطبيق مشروع التجنيد الإجباري على الجزائريين وغيرهم وقد حاول الفرنسيون إخفاء هذه الفكرة على الجزائريين إلا أن تسربها جعلهم يعيشون في توتر ووصفه البعض بأنه يهدد بالانفجار، لأن الجزائريين قد رفضوا هذا القانون بشدة لكونه يتناقض مع دينهم ومشاعرهم تجاه فرنسا [1].

(1) أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ط1،ح2،بيروت،دار الأدب1956.ص:41.

أ- أسباب الإنتفاضة ودوافع قيامها:

لقد كان قانون مصادرة الأراضي أكبر الأثر في اشتداد تذمر السكان وخلال عام 1814 طالبوا باسترجاع أراضيهم واعتمدوا في ذلك على إطلاق قطعان مواشيهم لترعى فيها على مرأى ومسمع الأوروبيين وهذا كنوع من التحدي للسلطة الإستعمارية، وتهيأت النفوس للتمرد والعصيان وخاصة عند تباطؤ الإدارة في تعويض الناس عن أراضيهم التي صودرت منهم في مطلع القرن [1] وبصدور مرسوم 3 فيفري 1912 المتعلق بالتجنيد [2]الإجباري للأهالي شرعت السلطة الفرنسية في إحصاء الشبان الجزائريين ودعوتهم للخدمة العسكرية في ميادين القتال بأوربا (فرنسا) أثناء الحرب العالمية الأولى ، وخاصة عندما قذفت السفن الألمانية الحربية مدينتي عنابة وسكيكدة بالقنابل سارع الحاكم العام (Lutand) إلى مخاطبة المسلمين قائلا: "هل كان الألمان يحلمون بحصول شيء من التخاذل أو الخيانة ؟ إن ذلك بمثابة شتيمة للحاكم ..... إن الله لا يحب الخائنين " أيها المسلمون أن الجمهورية عاقدة العزم على فرض النظام والطاعة في كل مكان، فمدو لنا يد المساعدة في هذا الأمر" [3].

---

(1)آجرون، المرجع السابق، الجزائر الجزائرية من نابليون الثالث إلى ديغول، ص: 111

(2)آجرون ، المرجع السابق " الجزائريون المسلمون وفرنسا "، ص: 813

(3) التجنيد الإجباري للأهالي: مرسوم صدر في 3 فيفري 1912 متعلق بتجنيد الأهالي الجزائريين عن طريق القرعة حيث حددت مدة الخدمة 3 سنوات مقابل منحة 250 فرنك كما نص المنشور على إجراءات أخرى مثل الإعفاء وتأجيل لتجنيد والاستثناءات الأخرى ونصت المادة 27 على منح الجنود القدامى امتيازات عديدة . أنظر:(آجرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا،نفسه) ص: 815.

وبصدور قرار التجنيد الإجباري، وجه وزير الحرب تقريره إلى " فرنسي الجزائر بطريقة غير مباشرة داعيا أيامهم إلى تمعن المنهجية التي إتبعها المبنية على التغلغل والحذر وتلقى الحاكم العام يوم 24 فيفري أوامر للتطبيق الفوري للمنشورين فتقرر تجنيد حوالي 2400 رجل أي ما يعادل 3 فيالق.

قام الأمناء العامون للولايات وكذلك المفتشون العامون للبلديات المختلطة بجولات لشرح المنشورين.

أما الصحافة الجزائرية فكانت صامتة ولم تعبر عن أي إنتقاد ولعل مرد ذلك قلة المتطوعين.

وكان رد فعل المسلمين أسرع مما كان متوقع فالشبان الجزائريون أصيبوا بخيبة فالإجراءات نصت على تعويضات مادية على شكل منح ولم تنص التعويضات السياسية التي طالبوا بها من جهة أخرى أصبحت مدة التجنيد 3 سنوات بدلا من سنتين للأوربيين واليهود، وعرائض واحتجاجات كثيرة توافدت إلى السلطات.

ففي خنشلة مثلا إمتنع رؤساء الدوائر تقديم الإستدعاءات لأنه شاع خبر بأن المجندين سيشاركون في محاربة المغاربة.

آجرون شارل روبر، المرجع السابق، (الجزائريون المسلمون وفرنسا)، ص: 742.

لقد كان تجنيد الجزائريين واقتحام فرنسا لهم في حروبها الإستعمارية في القرم وايطاليا والصين والمكسيك، كانت تستخدمه كيفما تشاء دون أن يبدي الفرد الجزائري المسلوب الإدارة أي مقاومة أو رفض أو إعراض، ورغم انتزاع الجندي الجزائري خلال هذه الحروب الإعتراف بشجاعته وإقدامه من الإمبراطور (نابليون الثالث) ذاته في رسالة بعث بها إلى المرشال (ماكماهون) الحاكم العام للجزائر بتاريخ 20 جوان 1865 غير أن هذا الإعتراف لم يشفع له في أن يسوى على الأقل بينه وبين الجندي الفرنسي بل كانت هذه الشجاعة وهذا الإقدام وبالا عليه فقد خيرت فرنسا فيه الصفات منذ أكثر من نصف قرن وحولته إلى درع واق وحزام آمان لجيوشها وجسور عبور لكل إقتحاماتها[1] لذا كان من الطبيعي أن تكثف من عمليات التجنيد الطوعي والإجباري للجزائريين في كل حرب تخوضها، ومع إندلاع الحرب العالمية الأولى 1914 سارعت إلى المخزون الهائل وإلى تلك القوة الإحتياطية التي لا تملك حق الرفض[2].

(1) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص: 198.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (الأوراس إبان فترة الإستعمار 1837-1939) ج2، ص:8

وفي شهر سبتمبر من عام 1914 أجريت القرعة ببلدية مروانة (كورناي) (Corneille) قتل على إثرها (27 شابا) أجبروا بالقوة على أداء الخدمة العسكرية منهم ثلاثة من دوار أولاد شليح، وخلال نقل هؤلاء الثلاثة إلى باتنة قفزوا من الشاحنة ولاذوا بالفرار، كما توجه أباء المدعوين إلى مروانة وصرح الحاج أحمد بن حافية بصوت عال مخاطبا النقيب (Cabon) قائلا:

"يمكنكم رفع الضرائب والإستلاء على ماتبقى لنا من الأراضي ولكن لا يمكن أن تسلم لكم أبناءنا".[1]

وعندما انتشرت مثل هذه الأخبار على بلديات باتنة فإن أغلب السكان نهجوا نفس الطريق ففي دوار أولاد عوف الذي إستدعت الإدارة منه (12 شابا) قد رفضوا الامتثال ولم يحضروا إلى عين التوتة، وفي 17 أكتوبر أعلن محافظ الشرطة بأن عدد المدعوين من أولاد عوف (55 شابا) قد رفض 20 منهم الحضور وعندما خرج المكلفون بالإحصاء إلى الدوار هرب هؤلاء الشبان إلى الغابات.

وفي يوم 24 أكتوبر ثارت مجموعة من الكبار أولاد عوف وقالوا لحاكم البلدية (H.Marcelle) لا يمكن أن نسلم لك أبناءنا وهنا اتضح لحاكم البلدية بأن هناك نزعة ترمي إلى الثورة.[2]

كان النقيب (كابون) مكلفا بالقضايا التي تتعلق ببلديات عمالة قسنطينة.

(1)-جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق،(تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الإجتماعية والإدارية) ص:128.

(2)-نفسه ، ص: 129.

وبعد مرور سنتين من اندلاع الحرب ونتيجة للخسائر الكبيرة التي منيت بها القوات الفرنسية على جبهات القتال مع الألمان ونظرا للأخبار التي كانت تصل إلى أسماع الأهالي عن طريق العائدين من جبهات القتال هناك بدأت بوادر الرفض في شكل احتجاجات رسمية هنا وهناك على شكل لوائح تقدم بها أعيان وشخصيات محلية في قسنطينة وباتنة وفي مناطق أخرى بداية من شهر سبتمبر 1916 تكشف عن التجاوزات التي يقوم بها القياد في الدواوير عند تسجيلهم للمجندين دون احترام المقاييس المطلوبة [2].

غير أن فرنسا تغاضت عن هذه اللوائح حتى تحشد أكبر عدد ممكن من المجندين.

الواقع أن السبب في تأخر إعلان الأوراسيين عن كرههم للخدمة العسكرية وللترحيل الإجباري إلى فرنسا لم يبلغ أوجه إلا في نهاية 1916 ويعود السبب في ذلك إلى رجال الدين والزوايا الذين اجتهدوا في الاستجابة للأوامر التي كانت تصدر من الإدارة الفرنسية، ليس في تهدئة النفوس الغاضبة والرافضة للتدابير الظالمة فحسب بل في إسداء النصح والطاعة والرضوخ للأوامر الفرنسية[3].

(1)سجلت وزارة الحرب العامة يوم 17 أكتوبر 1916: 7822 من القتلى الجزائريين و 30354 من الجرحى و 2611 من الأسرى،أنظر: مسعود عثماني، المرجع السابق، أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد)ص:198.

(2) مسعود عثماني نفسه، ص:199.

(3) عبدالحميد زوزو، المرجع السابق، (الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي) ج2، ص09.

ب- بداية الثورة:

إن بداية التوتر والغليان في الأوراس وإعلان التمرد والعصيان كان بدافع السخط على الإدارة الفرنسية وعملائها من رجال الزوايا والقياد ففي تاريخ 18 ديسمبر 1816 حكمت محكمة باتنة الجنائية على طفلين أحدهما في الثانية عشر من العمر والأخر في الرابعة عشر بتهمة الخروج عن طاعة القانون وكان شيخ الدوار قد سجلهما في قائمة المجندين صف 1917 [1].

وجاءت الصيحات الرافضة من كل أنحاء المنطقة تعبر عن رفض تسليم أولادها وقرر السكان المقاومة والتصدي ذلك ففي أكتوبر 1916 أيضا انتفضت قبيلة أولاد رشاش والتي يبلغ عددها 15000 نسمة ويقال انه وقع ذلك أثناء الزيارة الميدانية لحاكم بلدية خنشلة المختلطة بتاريخ 10 أكتوبر حيث خاطبته بما يلي " لن يمثل أولادنا يوم 16 أكتوبر أمام لجنة الانتقاء وسنتصدى لمغادرة العمال المسخرين وأنه لا فائدة من الاتكال عليهم بعد الآن"[2].

وفي دوار جبل ششار بدأ الناس يتنكرون للسلطة وأعلن الشباب الذين بلغوا سن التجنيد خروجهم عن الطاعة.

ولقد كان من بين الرافضين لهذا التجنيد في منطقة الأوراس سنة 1914: ابن النوي محمد والإخـــوة بن زلمـاظ، وعمربن مـــوسى، أعمر بن مخـــلوف، وبومصران صالح بن مزيان هذه الأسماء تعتبر مجهولة نظرا للمغامرة السريعـــة التي قاموا بها وللظروف العالمية والجزائرية التي لم تسمح للعامة والخاصة بتتبعها [3] وسنتعرف على ما قام به هؤلاء الأبطال.

---

(1) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص: 199.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (الأوراس إبان الاستعمار الفرنسي ج 2) ص9.

*العمال المسخرين: العاملين بالقوة (الخدامين بالسيف باللهجة العامية)، نفسه ص:9.

(3)إنتاج جمعية أول نوفمبر، ثورة الأوراس (1335هـ - 1916) ، باتنة (1426-1996). ص98.

والواقع أن هذه الجماعة التي أخذت في الانتشار نتيجة ظروف فرنسا فقد تمكنت من تحويل الأوراس إلى كابوس رهيب في وجه المعمرين والإداريين والمراكز العسكرية وفرق الدرك الفرنسي وعملاء الاستعمار، وقد عجزت فرق السنغال والزواف (الزواويين) والقناصة المتمركزين بالأوراس عن وضع حد لمثل هذه العصابات الثائرة والهاربة من التجنيد الإجباري.

وعلى سبيل المثال فقد تم قطع طريق مروانة ووادي الماء وسريانة عن بعضها نهائيا، كما تم عزلها عن باتنة وهددت بقطع المياه والوقود وحصر المعمرون في ضياعهم وهرب بعضهم إلى المدن، ونهبت مزارع المعمرين من قبل السكان والثوار وتعرضت النجدات القادمة إلى بلزمة وعين التوتة إلى كمائن الثوار الذين قتلوا بعض قادتها وكانت أريس وبريكة ونقاوس تعيش نفس الأحداث.[1]

وفي جبل مسناوة ومتليلي وأريس وجبل أولاد سلطان واجه سكان المناطق الإدارة الاستعمارية منذ صدور قرار التجنيد الإجباري 1912، وتفيد الإحصاءات بأنه ما بين (402 مسجل) تم تسجيل (317 شاب) بطريقة رسمية وأجريت عملية القرعة في 30 ماي 1914 وعلى اثر ذلك سجلت بعض الاعتراضات تلتها مظاهرة صاخبة في عين التوتة (ماك ماهون) وذلك عندما اجتمع أباء وأمهات المدعوين المقبولين بالقرعة ، أمام المجلس المختص بالمراجعة ويذكر(ديبون): بأن الساحة المقابلة لقاعة المجلس وطرق عين التوتة كانت مزدحمة بالمواطنين الرافضين ، الذين جاؤوا لإعلان احتجاجاتهم ورفضهم ، وقد نادوا جميعا بأعلى أصواتهم قائلين : " لا نريد التجنيد لا نسلم لكم أبنائنا".[2]

(1)عبد القادر جغلول الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمت سلم قسطون ،ط1، بيروت دار الحداثة 1984، ص:427 .

(2)جمعية أول نوفمبر المرجع السابق (ثورة الأوراس 1916). ص127.

وعلى إثر هذا الرفض المشحون بالتوتر، تم إلقاء القبض على أربعة من أولاد عوف بتهمة إثارة الاضطرابات في دوارهم خلال عملية القرعة ونقلوا إلى سجن باتنة ، وصرح هؤلاء بأنهم لا يريدون الذهاب إلى الجهة الأوروبية ولم يمر شهر ديسمبر من عام 1914 بدون وقوع حوادث مختلفة مثل سرقة المواشي ، كما نظمت أعراش أولاد سحنون وأولاد زيان والخدران فرقا لفرض الهجوم على القوافل التي تمر بترابها ، كما كانت تنظم هجمات على المعمرين ورؤساء الأهالي، وكان أنجح هجوم هو الذي كان على قافلة محملة بالقمح كانت متجهة إلى بسكرة قتل على إثرها شخصين وجرح اثنين وللقضاء على الظاهرة وإعادة الأمن إلى المنطقة ثم تنظيم الحراسة في الأماكن الحساسة وتكوين دورية مسلحة كلفت بالتنقل بين هذه المراكز.[1]

لقد نادى زعماء هذه الثورة إخوانهم أن ينظموا إلى صفوفهم وقد سموا أنفسهمً مجاهدينً

وقد انطلقت العمليات الفدائية في عدة أماكن من الأوراس في شكل هجومات على الأشخاص والممتلكات والمراكز العسكرية وإضرام النيران في ضيعات المعمرين ومؤسساتها الاقتصادية وحتى العملاء.[2]

(1) جمعية أول نوفمبر المرجع السابق (ثورة الأوراس 1916) ، ص: 129.

(2) شارل روبير آجرون تاريخ الجزائر المعاصر سلسلة ً زدني علما ً ترجمة عيسى عصفور بيروت منشورات عويدات، باريس ، 1982 . ج2، ص: 260 _ 261.

وتؤكد المصادر الفرنسية بأن محمد بن النوي قد بدأ نشاطه المسلح ضد المعمرين وحراس الغابات منذ 1906 لكنه تخلى عنه مؤقتا ورجع إليه في 1913 حيث كان يقوم بالعمليات ضد المعمرين والقياد رفقة لوصيف محمد، وجاب الله بن علي وهما من مشتة متليلي فكانوا ينصبون الكمائن في الطريق الرابط بين عين التوتة والقنطرة والطريق الرابط بين بسكرة وبريكة ولأجل ذلك قرر الدرك الفرنسي مطاردتهم وملاحقتهم فالتحقوا بالجبال وأخذوا ينظموا حرب العصابات بين عامي 1914_1915 وخلال 1916 ازداد عدد هؤلاء المجاهدين نتيجة انضمام عناصر جديدة إليهم والتي فرت من التجنيد[1].

كان المتمردون[2] خلال هذه الفترة الممتدة من 11 إلى 18 ديسمبر 1916 أي قبل وصول المدد العسكري الفرنسي سادة الموقف، ونظرا لافتقادهم إلى زعيم قادر على قيادتهم فقد انضووا تحت قيادة من سبقهم من القدماء الرافضين أمثال ابن النوي ومسعود بن زلماظ باعتبارهم أصحاب بارود لا يشق لهم غبار وكان يطلق عليهم بالخارجين عن القانون عن السلطة الفرنسية ولصوص الشرف أي الذي يأخذ من القوي ليعطى للضعيف عند وسطهم، ويقال أن ابن النوي كان يترأس مجموعة متكونة من ستمائة إلى سبعمائة شخص هاجمت برج عين التوتة، كما كان الفضل لمجموعة الإخوة عقون (حمو بن احمد وعلي وأحمد وصحراوي) في تخليص مجموعة متكونة من 28 مجندا من أيدي سرية قوامها 50 جنديا على إثر الهجوم الذي وقع يوم 30 نوفمبر1916 في تاجموت على سفح جبل بوصدام في دوار واد عولمة.[3]

---

(1) جمعية أول نوفمبر المرجع السابق، (ثورة الأوراس 1916) ص ص: 137_138.

(2) عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق (الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي ج2) ص ص: 12_13.

(3) نجد بين هؤلاء : المدعو ابن النوي محمد في جبل متليلي ، الإخوة عقون محمد بن فروج وبن طاهر في بلازمة وشعبان (أعمر بن مخلوف) في جبل بوعريف ، والإخوة علي ومسعود بن زلماط في شمال الأوراس ، وبومصران في احمر خدو (جنوب الأوراس).

كما قام مسعود بن زلماظ [1] والذي كان على رأس قرابة أربعين من الرافضين للتجنيد بتنفيذ هجوم ضد قرية فم الطوب ليلة 16 أكتوبر 1917 بالإضافة إلى الهجمات على مزارع المعمر ينفي كل من بلزمة وعين التوتة وشمرة[2] كما قام المسعود بقتل بن شنوف قايد يابوس ، وقايد زريبة الواد، وعندما اضطر إلى العمل بصفة رسمية جند حوله عددا من الأصدقاء الناقمين على الوضعية التي كانت أريس تعيشها، وأصبح بعدها ملاحقا ومطاردا من قبل الزواف "فرقة الزواويين"[3] والصبايحية والمناوشين بحيث أخذ ينظم هجومات مختلفة على الأفراد والمصالح الاقتصادية الكولونية وأعوانها وحول منظمة أريس إلى منطقة محرمة. لا يمكن لأعداءه أن يتحركوا بدون حراسة مشددة مما اضطر بالمعمرين إلى مغادرة مزارعهم وحراس الغابات إلى الفرار إلى الأبراج ، وضيق الخناق على القياد وشيوخ الجماعات المعادين للشعب [4].

---

(1) الإخوة بن زلماظ عددهم 3 وهم من أم واحدة وأب واحد هو احمد بن زلماظ ولد هؤلاء في عرش بني سليمان فرقة أولاد سعدية بلمسايل ويكون المسعود قد ولد حوالي 1887 ؟ وهناك رواية تقول بأن السلطات الاستعمارية قد قتلت منهم واحد ونفيت الآخر إلى كاليدونيا الجديدة وهو ما جعل المسعود يقرر الثأر والانتقام من خصومه.
ويقول ابن أخيه أن فرقته كانت تتكون من محمد بن علي بالة، محمد بن علي بن زلماظ وعلي مختاري ...الخ
وكانت هذه الفرق المؤلفة من 7 رجال تتميز بسرعة الحركة والتنقل لأنها تعرف المنطقة وهو ما جعلها تعيش في مأمن عن الاستعمار،أنظر:(جمعية أول نوفمبر ثورة الأوراس 1916)، ص: 190.

(2) نفسه، ص: 190.

(3) الزواف (الزواوة) (Les Zouaves): تنظيم عسكري خاص مثل اللفيف الأجنبي يتكون من متطوعين من مختلف الجنسيات دخل الخدمة الفعلية في الجيش الفرنسي بداية من 15 أوت 1830 أنظر: (مسعود عثماني أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد). المرجع السابق، ص: 209.

(4) عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق،(الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، ج2)، ص: 13.

وقد برز من دواوير خنشلة أولاد عمر وأولاد تيفوغ وهم من دوار علينـاس ومن بني ملول، وذلك عندما بدأت عملية الإحصاء في تبردقة كما ظهرت علامات التوتر على بني ملول والبراجة والولجة وششار وقد حرص رجال الدين وخاصة شيخهم محمد الطيب بن ناصر الذي قاد بنفسه فوجا من المجاهدين إلى بسكرة ودفع السكان إلى عدم الاستجابة لهذا النداء [1].

وفي منطقة ششار فقد قام الفدائيون في قرية الولجة وششار بقطع الطرق الثلاث التي تربط خنقة سيدي ناجي بتبردقة عن طريق الولجة وجلال، وقد أدلى الشهود بأنهم شاهدوا رجالا مسلحين يقومون بتهديم الجسور.

وفي أولاد رشاش بلدية خنشلة المختلطة فإن السكان حملوا السلاح جهرة في وجه الدرك الفرنسي والمعمرين والعملاء وهددوهم بالموت.[2]

ويقول(Depont)ً بأن الفرق الموجودة في هذه البلديات لم تقم بأي رد فعل لأنها عجزت عن ذلك ، وهذا ما شجع جميع السكان على شق عصا الطاعة، وهذا ما شجع كذلك كل الهجومات المستهدفة أبراج حكام البلديات والمعمرين و الاعتداءات المختلفة[3].

(1) جمعية أول نوفمبر (ثورة الأوراس 1916)، المرجع السابق، ص: 195.

(2) نفسه ص: 197.

(3) آجرون الرجع السابق (الجزائريون المسلمون وفرنسا) ص: 258.

وخلال أكتوبر ونوفمبر 1916 انتشرت أخبار تفيد بأن حاكم عين التوتة يكون قد قتل في مكتبه وأن زميلا له في بريكة قد قتل أيضا أو جرح وأن فوضى كبيرة قد استفحلت في دوار بني بوسليمان بأريس لما رفض 1500 ساكن رفضا معلنا التجنيد، وأخذوا يهددون المعمرين والإداريين في "لمدينة"و"أريس" والواقع أن أريس وخنشلة كانت تعيش اضطرابات خطيرة وقد صدق الحاكم لبلدية أريس الإشاعات التي تؤكد أن منطقة باتنة وأريس وبريكة وبلزمة وعين البيضاء، وحتى أم البواقي وتبسة قام سكانها بمقاومة التجنيد الإجباري ، وقد قال أحد الرافضين: " الموت هنا على قمم هذه الجبال وأوديتها خير وأحب إلي من الموت في فرنسا "[1] .

في نفس الوقت كان سكان عين القصر غير مستعدين لتقديم أبنائهم ، وهو ما جعل القيادة العسكرية المتمركزة في باتنة تطلب مزيدا من المدد ، ويقول (Depont) بأنها لم تحصل إلا على كتيبة واحدة أما في"30 جانفي 1917 فقد استقدمت فرقا جديدة من الجنود السود السنغاليين كلفت بعمليات تفتيش واسعة على المناطق الثائرة في جبل ششار والنمامشة وخنشلة[2] رغم أن المعمرين والإداريين لم يقنعوا بما قام به الجيش ونظرا لشكاوي المعمرين والإداريين المتكررة ، والملحة في إعادة المسح والتمشيط الكلي والدقيق لكل جبال الأوراس وأريافها فقد لجأت القيادة العسكرية الفرنسية إلى دعوة سرب من الطائرات من أجل بث الرعب في قلوب السكان، وقد قامت فعلا بالتحليقات فوق معظم جبال الأوراس ابتداء من فاتح فبراير 1917 وقامت خلالها بقنبلة المداشر في متليلي وأريس ومستاوة وركزت على شلية وجبل لزرق وأحمر خدو أين كان مسعود بن زلماظ ورفاقه يلتجئون وقد خسر العدو خلال هذه العملية ثلاث طائرات لم تذكر القيادة الفرنسية سبب سقوطها، أما (Depont) فيعزي ذلك إلى العوامل الطبيعية وقال عنها حاكم خنشلة وهو يضحك "بأن هذه الطائرات كانت موضع تسلية لنا وترهيبا وردعا لشاوية الأوراس"[3].

---

(1) جمعية أول نوفمبر (ثورة الأوراس 1916)، ص: 193.

(2) آجرون ، المرجع السابق (الجزائريون المسلمون وفرنسا) ص: 259.

(3) جمعية أول نوفمبر المرجع السابق ص:198.

وابتداء من 22 فبراير إلى غاية 24 منه ومن سنة 1917 بدأت كتائب الزواف والسنغال بإعادة تفتيش جبل قريون واقتحام غابة بني ملول رغم تراكم الثلوج وهذا من اجل وضع حد للثوار[1].

وقد أخذت العمليات العسكرية طابع دوريات الشرطة لأنها لم تشتبك مع المجاهدين واعتبرتها القيادة العسكرية في نهاية 1916 في عداد الأموات لأن العلاج كان شافيا، وعموما فقد احتضن الأوراس خلال الحرب العالمية الأولى 1914_1918 ست مناطق هي:

1_ عين التوتة ودواويرها مثل متليلي، أولاد سلطان

2_ مروانة ودواويرها مثل : مستاوة، الشلعلع، بلزمة، تاكسلانت.

3_ بريكة وأحوازها ودواويرها مثل: سقانة، الصحارى، أولاد سحنون، أولاد دراج، أولاد سلطان الحضنة الشرقية ولمعاضيد.

4_ أريس ودواويرها مثل: لمدينة، وادي عبدي، وبني بوسليمان.

5_ خنشلة ، عين القصر، ششار، الولجة، والشمرة

6_ عين أمليلة، عين فكرون، وعين كرشة، وجبل قريون، لفجوج، ومعظم السقنية [2].

---

(1) آجرون المرجع السابق،(الجزائريون المسلمون وفرنسا)، ص: 12.

(2) هلال عمار، ثورة الأوراس 1916، مجلة المجاهد الأسبوعية عدد: 1162،(12 نوفمبر 1982)، ص: 42.

ولقد وصل صدى الثورة إلى عين مليلة حيث قام سكانها ضد التجنيد الإجباري تحركت تقريبا المنطقة بكاملها فمثلا في عين فكرون ثار السكان ضد عملية استدعاء أبنائهم وإخوانهم للتجنيد والعمل، وعلى إثر هذا الرفض قامت الإدارة الاستعمارية بإلقاء القبض على المشكوك فيهم وأودعتهم السجن بينما فر الشبان إلى الجبال المجـاورة حيث نظموا أنفسهم في أفواج أخذت تعترض سبيل الأوروبيين ونظموا هجومـات على مزارع المعمرين، كما قامت السلطات باستقدام الزواف وفرق من السنغال لترهيب السكان وإعادة الأمن ، كما قام حاكم بلدية عين مليلة (Juin) بالانتقال إلى عين كرشة ومعاينة الوضع وتهديد السكان وإرغامهم على تقديم أبنائهم ، وعندما رجع إلى عين مليلة وقع في كمين نصبه له (15مجاهدا) وذلك على بعد 15 كلم من مزرعة (باستيل) فأوقفوا سيارته وقتلوه وتركوه في السيارة أما مساعده فقد هرب وتلقى رصاصة في رجله تركته أعرج طوال حياته حسب تقرير (Depont) .

وفي 19 ديسمبر 1916 نظم المجاهدون هجوما على مركز عين كرشة تمكـنوا من خلاله من اختطاف مساعد حاكم البـلدية وملازم فرقة الدرك وجرحـوا عددا كبيرا من حراس البلدية، وفي 21 من نفس الشهر نظم الثائرون هجوما على المعمـرين وبعض العملاء، وارتفعت الأصوات عقب هذه الأحداث إلى الجنرال (Bonnivall) تطالبه بنجدة سريعة.

جمعية أول نوفمبر . المرجع السابق (ثورة الأوراس 1916) ص: 199.

واستجابة للطلب المستعجل أمر (Bonnivall) قادة الكتائب بأن يوزعوا الجيش على كل البلديات المضطربة في انتظار قدوم إمدادات جديدة وبالفعل تم تقسيم الكتيبة الموجودة في المنطقة إلى أفواج وتم توزيعها على عين كرشة، عين الفكرون، وسيقوس من أجل المحافظة على الأمن في كامل تراب بلدية عين مليلة، وفي نفس الوقت قام المجاهدون بقطع أعمدة الكهرباء والتلغراف الذي يربط عين مليلة بعين الفكرون ثم قام الفوج بشن هجوم على عين الفكرون استهدفوا به تفريغ محلات الأوروبيين واليهود وهددوا الخونة كما أطلقوا النار على الثكنة التي إلتجأ إليها الفرنسيون. كما هاجموا محطة للقطار ولم تنته هذه الهجومات السريعة والمتكررة إلا بعد مجيء النجدة من عين مليلــة رغم أنها لم تمنع الثوار من تكثيف عملياتها [1].

جمعية أول نوفمبر ، المرجع السابق (ثورة الأوراس 1916) ص:200 .

ج- نهاية الثورة وآثارها على السكان:

واجهت الإدارة الفرنسية هذه الانتفاضة وكل الانتفاضات والتمردات بالقسوة والشدة كعادتها وكلفت خمس كتائب من الجنود السنغاليين الذين كانوا متمركزين في بسكرة بملاحقة الثوار، وكان عددهم 6000 جندي يتسمون بالغلظة والقسوة وسوء الأخلاق وعدم الرحمة فقاموا بإحراق القرى والمشاتي وإفراغ المطامير وسلب ما فيها من حبوب ومصادرة الحيوانات وانتهاك الأعراض وتعذيب حتى الأطفال، ورفضوا قبول استسلام دوار أولاد مسعود بدعوى قوات الأوان الذي حددوه وارتكبوا فيه مجزرة رهيبة [1].

وتجمع كل الشهادات على أن القمع كان وحشيا مع ذلك فعندما كلف (Octave Depont)

بمهمة التحقيق في قضية 1916 الخطيرة بصفته مفتشا عاما للبلديات المختلطة، كتب في تقريره الضخم لقد كان القمع، كما ينبغي أن يكون قاسيا من غير مبالغة ولا ضعف أم اللجنة البرلمانية التي أوفدت للتحقيق في عين المكان فيبدوا أنها صدمت من حجم التنكيل الذي تعرض له السكان وقد كتب المحافظ (Seignoret): «صدرت الأوامر للطوابير الأولى بإطلاق النار على جميع من تصادفه من الأهالي ثم أضاف: لم يكن الجنود يهتمون بإلقاء القبض على الجناة بل كانوا يضربون من غير تمييز. ولقد قتلوا وسجنوا جميع من صادفوه من الأهالي ولم يشف غليل القوات التي تصدت لإحراق الأكواخ والقضاء على المشاتي وإفراغ المطامير والسطو على القطيع. وكانت المؤن من القمح والشعير تشتت و تتلف».[2]

(1) يحي بوعزيز(ثورات القرن العشرين)، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة 2008، ص: 25.

(2) عبدالحميد زوزو، المرجع السابق ، (الأوراس إبان فترة الاستعمار) ج2، ص ص: 14_15.

وفيما بين 19و30 نوفمبر 1916 قام الجيش بتسليم كل من ألقي عليه القـبض إلى الإدارة المحلية التي أودعت أغلبهم في السجون في انتظار المحاكمات، حيث سيق أولاد عوف عن بكرة أبيهم وسكان متللي تاكسلانت وبلزمة ومستاوة وأريس إلى السجن في انتظار إصدار الأوامر والأحكام حول المخالفات التي ارتكبها بعضهم وخلال عمليات المسح الشاملة عثرت القوات الاستعمارية في واد بريش على كثير من الوثائق وبعض الأسلحة ومن بينها بندقية تعود إلى 1874 [1].

وخلال عمليات إضرام النيران في المداشر حدث انفجار قوي في أحد الأكـواخ كان يحتوي على كمية كبيرة من البارود وكانت العمليات العسكرية الفعالة ضد المواطنين بقيادة ديلوم يوم 30 نوفمبر 1916 وكان برنامجه يتمثل في تمشيط الحضنة الشـرقية ثم جبل أولاد سلطان قمة لالة رفاعة، جبل بوغيول، تاكسلانت، وبلزمة جبل ششار وأخيرا مرتفعات مستاوة والشلعلع ، وحدث خلال ذلك إستسلام اغلب سكان بلزمة ومستاوة إلى حاكم مروانة وعلى إثر هذا الاستسلام كلف (Ducler) قائد فرقة الزواف الثالثة بنقل المجندين إلى باتنة، وأثناء التنقل وقعوا في كمين نصبه الثوار قتل خلاله ملازم أول وعريف واحد من الزواف وجرح إثنان من المدعوين للخدمة العسكرية، وفر باقي الزواف إلى وادي الماء بينما لاذ المدعوون بالفرار إلى مستاوة وشلعلع ، وتقدر المصادر أن عدد الثوار كان حوالي 100 مجاهد وخلال هذا العمل قرر العقيد (ديلوم) الانتقال فورا إلى بلزمة ومستاوة مرورا بأولاد طالب ونقاوس من أجل ترهيب السكان وإعادة فتح الطريق بين باتنـة ومروانـة والمقطوع بين وادي الماء وسريانة .

(1) جمعية أول نوفمبر المرجع السابق (ثورة الأوراس 1916) ، ص: 206.

(2) نفسه ص: 208.

وعندما رأت القيادة العسكرية أن عدد القوات الموجودة تحت تصرفها غير كافية استقدمت كتيبة الزواف الأولى تحت قيادة (Falgaus) وتولت مهمة تمشيط المنطقة ما بين سريانة ووادي الماء من جديد أما كتيبة الزواف الثالثة بقيادة (Declase) المتـمركزة في سهل مروانة وقد كلفت بتفتيش الشلعلع ومستاوة والحيدوسة وأولاد شليح، والتقت القوات تقريبا في مضيق تاجنانت حيث تقع الكمائن وتم فتح الطـريق من جديد في3ديسمبر 1916 ولاحقت فرقة (Falgaus) الثوار حتى جبل بوسدان وخلال عملية المطاردة فقد ملازما أول بالإضافة إلى عدد مـن القـتلى والجرحى وتقرر رسمـيا يوم 5 ديسمبر1916 القيام بالمسح الشامل لكل جبال الأوراس ولم تتمكن القـــوات من اقتحام مستاوة والشلعلع بصوبة وذلك عندما تلاحمت الزواف الأولى بقيادة فالقـو مع كتيبة (Paul) في مرتفعات مستاوة حيث وقعت بعض المناوشات بين الطرفين نتج عنها 8 قتلى من كتيبة فالقو و(21 جرحا) مات معظمهم في 8 ديسمبر 1917 أما عدد خسائر المجاهدين فإنها غير معروفة[1].

لقد كانت التعزيزات العسكرية الإضافية تقدر بلواءين من المشاة وطائرات عسـكرية كما سحبت من جبهة القتال في أوروبا 6000جندي وبوصول هذا اللواء بلغت القوات الفرنسية 13892 جنديا وضابطا بالإضافة إلى القوات المحلية المتواجدة في المنطقة واعتبر الجنرال (Bonnivall) الثورة منتهية منذ الخامس من شهر جانفي َ1917 غـير أن العمليات الفعلية انتهت بتاريخ 27 أفريل 1917 أذنت بعدها للواء المشاة 250 بالعودة إلى فرنسا[2].

(1) جمعية أول نوفمبر(ثورة 1916)، المرجع السابق، ص ص: 208_209.

(2) مسعود عثماني المرجع السابق ص ص:209_210.

ولقد أقام الجنرال (Bonnivall) الحواجز والسدود وضرب حصارا طويلا وجمع السكان في محتشدات من أجل تجويع الثوار لإرغامهم على الاستسلام ونتيجة لسياسة المحتشدات فقد مات كثير من الأطفال والشيوخ في محتشد ين التوتة ومروانة جراء البرد والجوع[1].

وعندما بدأ ترحيل القوات العسكرية خلال شهر أفريل 1917 حلت كتائب الزواف محل الفرق العسكرية حيث عسكرت في الولجة وششار خلال المسح العام لبلدية خنشلة وتم إيقاف 124 مسجلا للخدمة العسكرية كانوا في حالة فرار كما ألقي القبض على ثائرين و توقيف (123 منهم) أمـــا في بلديـــة أريس فقـد تم توقيـــف 9 أشخـــاص من بين (42 ثائرا)[2].

واعتقلت السلطات الاستعمارية 2904 شخصا قدمت منهم للمحاكمة 825 شابا غير راشداو165 شخصا راشدا، وأزيد من 1200 شخصا أصدرت ضدهم أحكام من طرف لجنة الطاعة ومثلوا أمام مجلس تأديبها بتهمة عدم الإنصياع للأوامر، وبلغت الأحكام الصادرة عن لجنة الطاعة بالمجلس العسكري بقسنطينة ما مجموعة 715 سنة وشهرين وتسعة أيام سجنا و22810 فرنك غرامة مالية، وتمـــت تبرئة 20 شخصـــا فقط وقدم 45 شخصا إلى محكمة باتنة حكمت عليهم بما مجموعه 70 عاما و9 أشهر سجنا .

وصادرت 3759 بندقية صيد 7929 رأس غنم و4511 رأس ماعز و 260 رأس بقر وتم تغريم 62394 شخصا بمبلغ 706656 فرنكا لتعويض الأضرار التي لحقت بالمعمرين الأوربيين ووضعت المنطقة تحت الإدارة العسكرية بمقتضى قرار 22 نوفمبر1916 [3].

---

(1)جمعية أول نوفمبر المرجع السابق (ثورة الأوراس 1916) ص: 209.

(2)نفسه ص: 219.

(3)آجرون (الجزائريون المسلمون وفرنسا) ج2، ص: 1150_1157.

لقد كانت التقارير العسكرية والمدنية والفرنسية تؤكد أن قواتها لم تخسر سوى عدد قليل فإن خسائر السكان كانت قد بلغت حد المجازر بحيث أن الدرك الإستعماري وحراس الغابات وفرق الزواف والسينيغال والقوات المستقدمة من تونس وفرنسا كلها انتهجت سياسة القمع والإرهاب وتؤكد أن قواتها أخمدت الثورة بسرعة بفضل تفوقها عدة وعددا وحسب ما أشارت إليه تقاريرها فإن الحرب أصبحت لصالح فرنسا بلا منازع وصرح الحاكم العام ليتو (**Leytaud**) مدافعا عن الإجراءات التي إتخذها ضد السكـــان على أساس أنها قمع ضروري وتهديب شعب متخلف وبصوت بليغ من العجرفة والإعجاب أخبر مستسغيه بأن ثورة **1871** الذي أرادت العناصر المتمردة إحيائها قد قضي عليها نهائيا وهكذا أقمع الفرنسيون هذه الثورة كسابقاتها وأعدموا زعمائها أمام المـلأ[1] لأن هذه الثورة قام بها السكان ضد تجنيد أبناهم في الجيش الفرنسي لكن التاريخ أثبت الثورة لا تموت بموت زعمائها لأن الحدث تكرر بعد **38** سنة من هذا التاريخ[2].

---

(1) لقد أقدمت السلطات الاستعمارية وعلى رأسها المجلس العسكري المنصب بباتنة بمحاكمة الثوار بإصدار وتنفيذ حكم الإعدام ضد **13** زعيما من زعماء ثورة **1916** بعين التوتة وذلك أمام الملأ من إخوانهم وعائلاتهم في فيفري **1917** منهم محمد بن النوي ورفاقه أنظر: جمعية أول منذ نوفمبر ، المرجع السابق، ثورة الأوراس **1916**، ص: **232**.

(2) نفسه، ص: **233**.

الفصل الثاني:

المبحث الأول:

التأثيرات الإجتماعية:

أ_ سياسة الإفقار والتهجير

ب_ المجاعة والأوبئة

ج_ الاقتراض والربا

د_ الزوايا والتعليم الأهلي

الفصل الثاني:

التأثيرات الإجتماعية والإقصادية والإدارية:

لقد جند الإستعمار الفرنسي كل ما يملك من رسائل لضمان بقائه في الجـــزائر ولقد بذل كل مل في وسعه من أجل إخماد الثورات ولهيب المقاومة في الأوراس، وحاول إستئصالها من جذورها بدءا بتصويره للمقاومين بالعصاة وبالخارجين عن القانون وقطاع الطرق، ونعتهم بشتى النعوت والمسميات، وذلك ليوهم الرأي العام بأن هناك تمردا وعصيانا يستدعي القضاء عليه حفاظا على الأمن فمارس في ذلك عدة سياسات منها سياسة الأرض المحروقة وسياسة السلب والنهب والتقتيل وهتك الأعراض والتجويع ومحاصرة الأراضي والأملاك والنفي، وسياسة التهجير والتغريب وإرهاق القاب بالضرائب كما سن القوانين الإستثنائية، وتسليط العملاء على رقاب السكان لإجبارهم على الخضوع لسياسة الأمر الواقع.

لكن جميع المحاولات التي بذلتها فرنسا وجميع الطرق التي جربتها لم تزد الإنسان الأوراسي إلا صمودا وثباتا طوال كفاحه المرير والذي يعد جزء من كفاح الشعب الجزائري الطويل مائة وإثنان وثلاثين سنة من المعاناة والغربة الروحية والوطنية وغياب السيادة.

وبالرغم أن الثورات الشعبية في الأوراس كانت وبالا عليه بكل تأثيراتها الإجتماعية والإقتصادية والإدارية إلا أن قبس هذه المقاومات أسس لميلاد ثورة كبرى رفعت الغبن وحققت النصر بعد مليون ونصف مليون من الشهداء الذين قدموا قربانا للحرية والإستقلال.

المبحث الأول:

التأثيرات الإجتماعية:

يجمع المؤرخون على الإعتراف بأن القمع الذي أعقب كل إنتفاضة قد تم تسليطه على جموع الأهالي بدون تحفظ.

ونبدأها بتصرفات القياد تجاه السكان وتتمثل في ابتزازهم حيث اشتكى (أولاد وجانة) من خليفة القايد بوضياف والذي كان يرغمهم على إعداد الولائم رغم فقرهم وإرهاقهم بالضرائب الباهظة، وأشتكى أولاد داود (توابة) من الهاشمي بوضياف والذي قال عنه أحد الشهود من أولاد وزة فرع من فروع أولاد داود (التوابة) بأنه كان يشترط عليهم وليمة كل يوم. في حين كان السكان يشترون النخالة لإطعام أولادهم كما أنهم وجهوا رسالة طويلة يشتكون فيها من القايد بوضياف إلى لجنة التحقيق جاء فيها: بأن القايد بوضياف أخذ منهم بشهر قبل ثورة 1879، 400 نعجة و 100 معزة و 20 صاعا قمحا وتعدى على الحرمات وإنتهك الرجولة بوضع لجام لشخص من الزحافة[1].

أ_ *سياسة الإفقار والتهجير:*

فبين السنوات 1870-1890 وفي عهد الإمبراطورية الثانية حيث كان الإصرار على حصر الإهتمام في متابعة الإستيطان وحده، وثم جهل تام بأوضاع ومشاكل الناس الذين سعت الإدارة الفرنسية بشكل كثير إلى إفقارهم وكانت أسوء سنة في العشرية محصورة من 1871-1881 حيث كان الحجز القضائي للأملاك والأرزاق مما اضطر بالقبائل لموجهة هذه التدابير ببيع الكثير من الأرزاق والتضحية بأغنامها بالإقتراض ورهن الغلال قبل حصادها[2].

---

(1) إنتاج جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق،(ثورة الأوراس 1916) ص ص: 145-146.
(2)آجرون المرجع السابق،(الجزائريون المسلمون وفرنسا) ص ص: 687-688.

وكانت جزائر الأهالي تصدر بكثافة في سنة 1872-1873 ولكنها تصدر رأس مالها أو بعبارة أوضح أرزاقها ومقومات عيشها كما تسبب البؤس والجفاف في سنة 1877-1878 في اضطرار الأهالي إلى بيع الأغنام خلال تلك السنوات وقيام التجار اليهود بتصديرها إلى مرسيليا محققين بذلك أرباحا ضخمة[1]

كما كان للوضعية الديموغرافية لسكان الأوراس والتي كانت تسير بمنحى تطور عكس إتجاه مصادر العيش الذي كان في تناقص مستمر مما أثر بشكل مباشرعلى المستوى المعيشي للسكان الريفيين خاصة وانتشار الأمراض المعدية كحمى المستنقعات والثروات الشعبية أثرت سلبيا على السكان حيث انتشر وباء (التيفوس والطاعون) في دائرة باتنة 1895 والذي ساهم في عدد كبير من الوفيات.

وتدني مستوى المعيشة التي تتعلق بمصادر الرزق والتغذية والسكن حيث أن ظروف المعيشة لدى الأوراسيين الذين كان معظمهم فلاحين أو صغار ملاك وتتمثل مصادر الرزق أساسا فيما تدره المنتجات الزراعية (الحبوب) وتربية المواشي[2] والتي صودرت جميعها تقريبا أراضيهم إلى أماكن أخرى أو نفيهم إلى جزيرة كورسيكا كما حدث لأولاد عبدي في ثورة 1879[3].

(1) آجرون، المرجع السابق (المسلمون الجزائريون وفرنسا)، ص 688.

(2)عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق (الأوراس إبان فترة الاستعمار)،ج2، ص: 394.

(3)إنتاج جمعية أول نوفمبر، (تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الإجتماعية والإدارية) ص: 137.

وخلال سنة 1860 هاجرت خيام كثيرة إلى تونس وفي صف 1861 كان حصاد الحبوب يسيرا فأعلنت 1000 خيمة من قبيلة العشعاش القاطنة بباتنة عزمها على الهجرة أيضا، وقررت قبائل أهل بن علي والشرافة واليوازيد مغادرة دائرة بسكرة ولقد تجاوز عدد القبائل التي طلبت الترخيص بالاغتراب 2000 قبيلة.

والواضح أن أزمة الهجرة كانت ناجمة عن سياسة اغتصاب الأراضي، ولم تكن الإدارة الفرنسية تقر بهذه الحقيقة بل جرمت المرابطين المتزمتين والغاضبين على ضياع مصالحهم وحرمانهم من إمتيازاتهم فأدى ذلك إلى إغترابهم وذهابهم للعيش في أرض الإسلام بعيدا عن المسحيين[1]

ب_ المجاعة والأوبئة:

وقبل أن يستجمع المواطن قواه ويقوم بهبة أخرى ضد العدو وتضاعفت نكباته واشتدت وطأتها عليه فداهمته المجاعة وحاصرته الأوبئة من كل مكان مع بداية عام 1864 ولم تعد تلك الأشرطة الضيقة التي يحرثها ويحصدها تضمن له قوت يومه،ولا تلك القطعان العجفاء التي ظل يرعاها توفر له الحاجة فساءت الحالة فمدخرات الحبوب والأعلاف التي كانت تشكل مخزونا إحتياطيا قد نفدت وازدادت أثمانها في الأسواق أضعافا فأضطر الناس إلى الاستعانة بثمار الأشجار البرية كالبلوط، وحب العرعار والطاقة واتخذوها أعلافا لحيواناتهم فأصابها الهزال وأنخفض سعرها وامتلأت الأسواق بالماشية فكثر العرض وأنعدم الطلب لقلة الحاجة إليها[2].

(1)عبد الحميد زوزو، المرجع السابق،(الأوراس إبان الاستعمار)،ج1 ص: 248.

(2)عثماني مسعود، المرجع السابق، ص:97.

وأحاط البؤس بالسكان من كل مكان ومع اشتداد الأزمة اضطرت بعض القبائل إلى الهجرة إلى الهضاب حيث يتوفى القليل من مخازن الحبوب واضطرت قبائل أخرى تخيم وسط الغابات وتتخذ من حب العرعار طعاما لها.

وكانوا كالجراد يبحثون في الحقول الزراعية عن جذور النباتات ونظرا لقلة الماء كان الناس يجتمعون أمام أماكن حيث يتوفر الماء في بعض الينابيع وبدأت الأمراض والأوبئة تحاصرهم والموت يتخطفهم[1] فأرتفعت نسبة الوفيات بين سنتي 1864-1865 تجاوز عدد الولادات وخاصة عنصر الذكور فخلال الثلاثي الأخير من سنة 1864 تم في باتنة تسجيل 644 ولادة من بينها (328 إناث) مقابل 716 وفاة منها (406 من عنصر الذكور).[2]

ومن المظاهر الإجتماعية السلبية إنتشار الأمراض المعدية الظريفة التي كانت تسبب النكبات الفتاكة، إلى جانب الأمراض الموسمية المزمنة كالإلتهابات الرئوية وأوجاع المفاصل والإسهال، كما انتشر بين السكان داء الزهري والحمى وشهدت نهاية سنة 1865 إنتشار وباء الرمد ثم تلاها وباء الجدري الذي فتك بمنطقة باتنة وأولاد بوعون والأعشاش وبني وجانة.[3]

وتوالت النكبات في السنوات التالية: 1867-1868 وإمتدت إلى غاية 1880 في الشرق القسنطيني وكانت مرفقة بمواكب البؤس والآلام، وقد بلغ الجوع بالعرب حدا فرض عليهم الإقتيات بحساء مصنوع من الخضر البرية وجذور بعض النباتات وسجل أحد المسافرين الأجانب ويدعى (Tchihatcheff) الغذاء الوحيد للسكان الفقراء هو نبات (اللوف)* يجمعونه في فصل الشتاء وإمتلأت مدن الشرق بالجائعين وصار الأمر مفضوحا لا يمكن السكوت عليه[4].

---

(1) مسعود عثماني المرجع السابق، ص: 98.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق،(الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي) ص: 250.

(3) نفسه، ص: 251.

(4) آجرون، المرجع السابق، (الجزائريون المسلمون وفرنسا) ص: 692.

* اللوف: نبات بري تحتوي بصلته على مادة طبيعية حامضة جدا تسبب التقيؤ والإسهال يقوم الناس بغسلها بالماء عدة مرات ثم يغلونها طويلا حتى يخلصونها من شدة الحموضة. نفسه، ص: 692.

وكان لاجتياح الجراد عام 1866 حصيلته من الدمار الشامل على كل المزروعات بما في ذلك الفواكه والخضر ولم يجد فيها المستقرون من السكان أثناء موسم الخريف موردا لعيشهم، ولم تنجوا قطعان الماشية الأخرى بسبب المياه المسمومة وإنعدام الكلأ عبر المساحات الشاسعة التي حرمها الجفاف من أي نبات.[1]

ظهرت حمى الكوليرا في أواخر شهر مارس وتسببت في وفيات كثيرة من قبيلة العمامرة[2] وبظهور أسراب الجراد على قبائل الأوراس أصيبت مياه الآبار والمنابع والمجاري بتسمم بفعل فضلات الجراد مم أسهم في تقوية الكوليرا والتوفيس لدى السكان بشكل مخيف وهذا قدم الفلاح ضريبة لأنواع من الأوبئة.[3]

وتدهور الأحوال الصحية كان بسبب الموقف السلبي الذي وقفته السلطات إزاء الخطر الداهم وكانت ترد على نداءات الإستغاثة من طرف "القادة الأهالي" المطالبين بتقديم كميات من الحبوب في شكل قروض بأن "تلك التدابير لا تتخذ إلا في الحالات القاهرة" وهذا بالرغم من أن كل التقارير كانت تشير إلى الوضعية الحرجة التي أملت بجميع السكان ولكن السلطات إكتفت بإرسال تعليمات إلى الزعماء الأهالي لكي يستعملوا نفوذهم بين الأهالي لتنظيم صفات القروض فيما بينهم".

وإنصب إهتمام الإدارة الإستعمارية على الجانب المالي دون مراعاة ظروف الأزمة وتدعياتها فراحت مصالحها التقنية تنكب على إعداد قوائم الضرائب.

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (نصوص ووثائق) ص: 113.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (الأوراس إبان الاستعمار الفرنسي) ص:251.

(3) عبد الحميد زوزو(نصوص ووثائق) ص:113.

(4) عبد الحميد زوزو (الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي) ص: 252.

أنظر الملحق رقم 1 أسماء القبائل التي غزاها الجراد بحسب المناطق والمساحة .

توالت النكبات على السكان، جفاف قاتل، وأوبئة فتاكة ومردود ظل يناقض إلى أن إنعدم في سنة 1868، وحل البؤس في جميع ربوع الأوراس وبلغ مبلغه في قبيلة العمامرة حيث كان الناس يموتون من شدة الفاقة والضنك، وكذا الشأن عند قبائل السهول وعند البدو في الجنوب وصارت جثث البشر الذين ماتو جوعا ملقاة على قارعة الطريق وأتلفت أعداد كبيرة من المواشي فأضطر السكان إلى طلب ترخيص السلطات لهم بالنزوح جماعيا نحو منطقة التل مثل ما حدث مع قبائل أولاد زكري (1250 خيمة) هاجرت[1] وإضطر بعض الناس إلى السطو على ممتلكات غيرهم هربا من الموت جوعا، ونذكر في ذلك على سبيل المثال الهجوم على القبائل المعزولة والتي لديها بعض المخزون من الحبوب وكذا الهجمات التي استهدفت الأوربيين المعزولين أيضا، وحقولهم وأحصى تقرير شهر ماي 45 عملية سطو و16 عملية إغتيال مقابل 18 عملية سطو في الشهر السابق، والواقع أن تلك العمليات كلها تعبر عن الضائقة المالية العسيرة.

والواقع أن السلطات الإستعمارية لم تكترث بالسكان إلا بعد أن دفعوا ضريبة ثقيلة من جراء المجاعة والأمراض أبرمت مع الفلاحين عقد شراكة للقرض العقاري سلفة لفائدتهم لتمكنهم من البذر، ولكن الأموال التي تم توزيعها كانت عملية لذر الرماد في العيون فلم تستفد منها سوى قلة ممن كان لديهم القدرة على التسديد، ولقد بررت الإدارة تحفظها وعدم تحمسها لمساعدة الفلاحين الذين قهرتهم النكبات بدعوى ضرورة توخي الحذر في إقتراض مبالغ طائلة لتسوية الوضعية[3]

---

(1) مسعود عثماني ، المرجع السابق، ص: **99**.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (الأوراس إبان ثورة الإستعمار الفرنسي)، ص: **252**.

(3) نفسه، ص: **253**.

ومهما يكن فإن حجم الإغاثة المرتجلة والتي تم تقديمها في شكل قروض بعيدة كل البعد عن الضرر حيث تم تخصيص مبلغ (**7000,000** فرنك كقروض إجمالية لدائرتي قسنطينة وباتنة وتلقت هذه الأخيرة نصف المبلغ الإجمالي) والواقع أن تلك القروض منحت بيد لتستعاد بيد أخرى لأن الفلاحين الفقراء سيضطرون إلى تسديد قسط منها لمصلحة الضرائب وهذا سر منح القروض نقدا وليس عينا فكيف نفسر تغريم السكان بالضرائب المتنوعة (الزكاة، الحكر، العشور، الأتاوات وغيرها .....)[1]

ونظرا للضائقة التي مر بها الساكن الأوراسي، أو الفلاح في أريافنا فتعد بعض المساعدات من الأهالي والأوربيين ولم يبق للفلاح من عمل سوى أثاث صغير وأواني البيت الطينية وأدوات فلاحية بسيطة كانت قد انتزعت منه أو باعها بـ: **5** فرنك وهو المبلغ الذي لا يكفي لتغذية **8** أيام والفلاح المالك للأرض ولأدوات الحرث قلما يحرث بنفسه أو يشرك معه مزارعا شريكا هو الخماس[2] وهذا الأخير يتلقى كوخا حيث يسكن، وتسبيقا من الحبوب ليقتات به وأسرته إلى حلول موسم الحصاد، لكن بعد الحصاد يتعين على الخماس رد التسبيق المذكور من محصول الخمس وقد يبقى لديه بعض الاحتياط فيما بعد إذا كان حجم المحصول طيبا يسد الرمق من غير أن يستدين إلى حين عقد تعهد جديد، وإذا كان حجم المحصول طيبا يسد الرمق من غير أن يستدين إلى حين عقد تعهد جديد، وإذا كان العام سيئا يتراكم دين الخماس في إنتظار السنة الطيبة التي تمكنه من التسديد.[3]

(**1**) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي)، ص: **255**.

(**2**) الخماس (الخماسة) نوعا من الشراكة في خدمة الأرض وتختلف هذه الشراكة باختلاف نوع الفلاحة فهناك فلاحة الحبوب وفلاحة الأشجار وفلاحة الخضر والبقول، وهناك فلاحة في الجبال وهناك فلاحة في القرى وفلاحة في الواحات، يتفق الطرفان المالك والعامل الخماس (الشريك) في أمرين أساسيين.

أ_ نسبة أجرة الخماسة وتكون على حسب العادة والعرف.

ب_ الأعمال التي يجب أن يقوم بها الخماس (الشريك) وتكون ضمن مسؤوليته ويحاسب عليها أمام المالك والعرف (الجماعية).

ويتحول العربي إلى خماس لدى الفرنسي عندما يقترض ولا يستطيع تسديد الديون،أنظر:جمعية أول نوفمبر في الأوراس، المرجع السابق، (تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الإجتماعية والإدارية)، ص: **66**.

(**3**) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (نصوص ووثائق)، ص ص: **110-111**.

لقد كانت نكبة الجراد والأوبئة وسياسة الإستعمار الإستطانية خاصة في سنة **1866-1868** التي قدم فيها الفلاح ضريبة لأنواع من الأوبئة، فالفلاح الذي كان يحرث بمحراثين خلال السنوات المتوسطة أصبح لا يحرث سوى بواحد، ومستخدما خماسا واحدا بدل إثنين، كما أن عددا لا بأس به من الملاكين الصغار باشرو الحرث بأنفسهم وهكذا بقيت جماهير من الرجال والنساء والأطفال من غير موارد للرزق وجاءت لتغص بها مراكز التسول.[1]

ج_ الإقتراض والربا:

ومن الآفات الإجتماعية التي أصابت المجتمع الأوراسي خلال فترة الأزمة ومع نهاية الإنتفاضات، وبعد عملية الإقتراض التي سعت إليها الإدارة الفرنسية لتبييض ووجهها وسعيا منها لتحسين الأوضاع بطريقة القروض ساد التعامل الربوي الذي شجعه الإحتلال الفرنسي حيث تكهن (**Lapasset**) بأن القارضين نشيطون ويزدادون كثرة وسوف يتوصلون إلى طرد الأهالي من أراضيهم كما ذكرت الرسالة الإمبراطورية سنة **1865** نفس المخاوف القائلة بأن الإقتراض الربوي تعقبه المصادرة ويعتبر تمديد أجل المستلزمات المتفق عليها ضمنيا في العملية إلى أن المرابي يترك الآجال تتراكم إلى حين يأتي الوقت الذي يرى فيه أن المقترض قد بلغ حدود طاقته في التسديد فيطالب برهن أحد عقاراته والحقيقة أن الضمان غير المصرح به في المجتمع التقليدي، غالبا ما يتمثل في القدرة على العمل التي يتمتع بها المقترض.[2]

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (نصوص ووثائق) ص: **113**.

(2) آجرون، المرجع السابق،(الجزائريون المسلمون وفرنسا) ص ص: **677-679**.

انظر الملحق [2] مراسلة بين قائد دائرة تبسة و للواء الناحية العسكرية لولاية باتنة حول قضية الربا

كما جرت به عادات المجتمعات الغابرة فإن الآجال القصوى للدين تقضي إلى نوع من السخرة لتسديده، وفي الأصل تأسس نظام الخماسة بهذه الطريقة عن طريق قرض يقدمه المالك عينا ويتم تجديده مقابل نوع من الضمان بواسطة رهن قسم من غلة الخماس، وعند الحصاد يـأخذ المالك المقادير المسبقة، ولا يترك للخماس سوى ما تبقى من ديونه وهكذا يصبح المدين في حالة عجز عن التسديد ويظل في تبعية دائمة للمقرض المالـك[1]

وبانتشار عملية الربا في المجتمع نتيجة الحاجة جعل بعض الشعراء الشعبيين يعبرون عن هذا التردي بقولهم: «العربي اللي كان مول النيف، ولى رخيص، ايسمي ليهودي بويا أويترجاه يسمعوا ما أبقى غير ترحلوا، لبلاد هذا ولات ناجسة، حتى أيجى اليوم اللي اتجي دالتو أمير مولا دار يخلصنا من هم الربا»[2]

---

(1) آجرون، المرجع السابق، ص: **680**.

(2) نفسه، ص **680** (الأشعار وردت مترجمة إلى الفرنسية من طرف **les sept palier de l'algerie 189 1p 170 Gourgeot**) **حاولت الترجمة تقدمها في لغتها الأصلية.**

ولم تتحسن الأحوال الزراعية خلال الموسم الفلاحي **1869-1870** وقدرت الإدارة مساحة الأراضي المحروثة خلال تلك السنة **5/4** المساحة المحروثة السنة العادية وذلك بسبب نقص الرسائل التي صدرتها السلطات الاستعمارية بعد كل ثورة لأنها صارت أبسط وسائل العمل فنقص وسائل البذور لا يسمح للفلاحين بتوسيع المساحات الزراعية مم اضطر بعضهم إلى ثلم التربة بواسطة العصي بدل المحاريث فبذروا فيها الحبوب التي كانت موجهة لتغذيتهم أصلا: (واضطر السكان إلى معاناة البؤس وقبول العيش بفضل صدقات القياد أو بفضل ما توزعه لجنة الإغاثة)[1]

وخلال سنتي **1870-1871** أكلت الحرب كل ما تم توفيره من قبل حيث بادرت الإدارة الاستعمارية إلى نهب قطعان الماشية أو بيعها في الفترة التي أعقبت الانتفاضة من سبتمبر إلى مارس وكان الهدف من ذلك هو تحصيل ضريبة الحرب.

كانت سنة **1872** بالنسبة للفلاحين سنة إفلاس لأنهم اضطروا خلالها إلى دفع المبالغ المتبقية من الزكاة **232.852,65** فرنك واللزمة [2] **32,205,30** فرنك والحكر[3] والعشور [4] **238,586,62** فرنك وبلغ إجمالي المدفوعات خلال السنة **1,112,604,40** فرنك [5]

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق،(الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي ج**2**) ص ص **260-261**.

(2) االلزمة: لفظ مأخوذة من كلمة لازمة الشيء الإجباري، وفي السابق كان الـ ً لزم ً حقا يدفع من طرف الأوربيين لبلدان. البربر من أجل إستغلال المرجان أنظر: (شارل روبير آجرون الجزائريون المسلمون وفرنسا) ص: **463**.

(3) الحكر: (لحكور) أي إيجاز أراضي العزل، وطريقة حساب لحكور هي المحراث باعتباره أداة فلاحية.

(4) العشور: الضريبة على الحبوب (آجرون،نفسه، ص: **486**).

(5) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: **262**.

إن إنتفاضة **1871** كانت قدرا منح فرنسا فرصا سانحة لاستعادة ملكـــية الأرض التي لا تحسن القبائل أساليب استغلالها في حين أنها ضرورية لبسط هيمنة أوروبية قوية، والعمل على إعادة تشكيل المساحات الإستطانية وأظهرت الصحافة الفرنسية إجماعا حول هذه النقطة، ومن الضروري أن لا يبقى في كل الربوع التي شهدت الانتفاضة سوى ملكية الدولة ليتقاسمها المستوطنون المهاجرون والأهالي الذين يظلون أوفياء غير أن صـحيفة (**l'algerier française**) **21** ماي ذهبت إلى أبعد الحدود قائـلة: «ما نطـالب بـه هو الحشر والإبعـاد، ولم يعد هناك مجال للكلام عن الإدماج ولا عن المملكة العربية بل الهيمنة الفرنسية بكل ما تحمله من مضامين القوة».

ويجب نزع السلاح من جميع القبائل التي ثبت تورطها في التمرد وكما قالت صحيفـة (**L'écho d'Oron**) **29** جوان: "يجب أن نجعلهم على الأقل عاجزين عن الإســاءة وأن نجعلهم ضعفاء وفقراء ونقلص أعدادهم لكي لا يكونوا خطرا دائما علينا".[1]

وفي قضية فرض غرامة حربية ضد المتمردين فقد تمت استشارة الجنرال (**Honoteau**) في الموضوع باعتباره عليها بشؤون القبائل فأشار أن تفرض غرامة حربية تساوي مرة ونصف المرة الغرامة السنوية بينما كان مساعده وصديقه (**Letourneux**) ينصح بمضاعفة المبلغ سبعة عشرة مرة.[2]

(**1**) آجرون، المرجع السابق، (الجزائريون المسلمون وفرنسا)، ص: **51**.
(**2**) نفسه، ص: **52**.

ونفس الأرقام تعكس حجم الكارثة الديموغرافية رغم أن العدد الحقيقي يبقى مجهولا فيما يخص منطقتنا فالأرقام التقريبية والتي تتعلق بالدائرة الإدارية لباتنة والتي تناقص عدد سكانها من **138,500** نسمة في سنة **1860** إلى حوالي **100,000** نسمة في سنة **1872** وهذا يعني تدهورا بنسبة **24%**، ولا شك أن الكارثة السكانية في منطقة الأوراس بأكملها لا تعكس هذه النسبة المئوية حقيقة الوضع العام[1] وليس من المبالغة إذا قلنا أن النكبات التي استغرقت خمس سنوات متتالية قد قضت على نصف سكان منطقة الأوراس ما بين **1867-1872** بعد أن كانت تعد من المناطق الآهلة بالسكان في الجزائر[2]

وبدأت المعيشة الضنك منذ سنة **1866** على غرار ما حل بجميع نواحي الأوراس ولم تنته في **1872** الآن الآفات المتتالية حرمت المنطقة من فرض إعادة بناء نفسها بسبب ما فرض عليها من غرامات حربية[3] بعد ثورة **1871** (حيث فرضت على منطقة الزاب ضريبة حرب قيمتها مليون فرنك، وطاف الجنرال **Delacroix**) في ربوع المنطقة ليعرض على السكان دفع مخلفات الضرائب لسنة **1870** وفي نفس الوقت يتم تقديم **1000** صاع من الشعير لفرقته العسكرية وامتد الاغتصاب ليس إلى ما ينتجه الفلاحون فقط بل راحت تستهدف مصدر الرزق ذاته بواسطة الحجز القضائي للأراضي التي يملكها السكان ووضعها في خدمة الاستعمار كإجراء عقابي بعد انتفاضة **1871**، وبادرت الإدارة الاستعمارية إلى نهب قطعان الماشية أو بيعها في الفترة التي أعقبت الانتفاضة من سبتمبر إلى مارس وكان الهدف من هذا الإجراء تحصيل ضريبة الحرب).[4]

---

(1) تشير بعض التقارير إلى انقراض ثلثي عدد الأفراد من بعض القبائل مثل أولاد علي تحمامت وأولاد شليح (تقرير جانفي **1873**)، عبد الحميد زوزو،(الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي) ص: **262**.

(2) عبد الحميد زوزو، نفسه، ص ص: **262-263**.

(3) نفسه، ص: **264**.

(4) نفسه، ص: **261**.

وتمثل القمع الذي فرض على السكان والقبائل الثائرة في الغزو على القطعان، غرامة حرب تختلف من قبيلة إلى أخرى مابين **10** و**20** مرة مبلغ الغرامة ثم فرض الحجز الجماعي على الأملاك لعشرة فروع من أولاد داود وبني بوسليمان وتحصلت أملاك الدولة على **2,777** هكتار وبفرض الإقطاع خمس الأرض لدى أولاد داود، وأقيمت محكمة حرب فأصدرت **14** حكما بالإعدام و**16** حكما مختلفا كما برأت ساحة **16** شخصا ووجهت الصحافة أصبع الإتهام إلى ضباط المكاتب العربية فتم الإجماع على إلغاء تلك المعابد الأزلية وإلحاق الأوراس بنظام الحكم المدني.[1]

---

(1) آجرون: (المسلمون الجزائريون وفرنسا)، ص ص: **116-117**.
الواضح أن الثورة كانت موجهة ضد القياد الذين يستمدون السند من طرف ضباط المكاتب العربية الذين يحولون دون وصول الشكاوي إلى أعلى المستويات، أنظر:نفسه، ص:**117**.
وقد وردت إلى وزارة الداخلية شكاوي ضد القياد والمكاتب العربية أنظر الملحق **3** حسب ما وردت بأخطائها.

د- الزوايا والتعليم الأهلي :

لقد كان الهياج الذي شمل منطقة الأوراس بعد ثورة **1879** القصيرة الأمد والذي ترتب عنه نتائج وخيمة أكبر من الحدث والانتفاضة في رأي العسكريين حركة ارتدادية للانتفاضات السابقة التي حدثت في سنوات **1849-1858** والتي نسبت إلى زعماء الطريقة الرحمانية ورغم أن الزوايا في المجتمع الأوراسي قليلة العدد حديثة الإنشاء ومعظمها تعتبر امتدادا أو فروعا لزوايا أخرى وحسب إحصاء تقريبي لهم أعده (رين) حسب استقطاب المريدين.

- باتنة القادرية **1620**، الرحمانية **1099** الدردورية (الأحباب) **600**
- خنشلة الرحمانية **2687** التيجانية **79**، القادرية **33** [1]

ولقد ألمحنا إلى هذا لنبين أن تكامل أسلحة الاستعمـار توضح الأهداف التي سعـى إلى تحقيقها باللين أخطر بكثير على الأمة من تلك التي يصل إليها عن طـريق القوة.

ففي سنة **1844** تجمع عدد من الأطفال الجزائريين في باريس والذين وصلوا تحت مختلف الظروف فالبعض منهم أبناء لبعض الأعوان والبعض الآخر من أبناء المقاومين تولت وزارة الحربية رعايتهم والتكفل بهم فأوكلتهم إلى مؤسسة دوماينكور لتعليمهم لقد أحاطتهم بعناية كبيرة وخصصت لهم ميزانية بمبلغ عشرون ألف فرنك.

- **2500** فرنك عن كل طفل - والغرض من ذلك هو إعطاء صورة مشرفة عن فرنسا عندما يعودون إلى بلادهم[2].

---

(1) مسعود عثماني، المرجع السابق (الأوراس الكرامة أمجاد وأنجاد) ص: **138**.

(2) جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاحتلال (**1830-1844**)، د ط الجزائريين منشورات تمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**، ص: **15**.

فالتعليم في الأوراس الذي كان يعتمد على الكتاتيب القرآنية والزوايا وبعض نوادي الوعظ والإرشاد وكان يقتصر البرنامج على حفظ بعض السور من القرآن الكريم والتعليم كان يقوم على التلقين واشتهرت في الأوراس العديد من المدارس الحرة والتي كانت تابعة للزوايا ونذكر منها مدرسة حيدوس وتولى التعليم فيها الشيخ عمر دردور، ومدرسة أم الرخاء وتولى التعليم فيها الشيخ محمد الصالح زموري، مدرسة بوزينة تولى التدريس فيها أحمد بهلولي ...الخ.

إلى جانب الجمعيات الدينية الإصلاحية[1]

غير أن السلطة الاستعمارية بقيام الثورات والانتفاضات اكتشفت مدى تأثير هؤلاء وتعليمهم في السكان فضمت بعد الانتفاضات السلطات الاستعمارية المساجد وأملاك الحبس إلى أملاك الدولة، ونضب معين المراد التي كان التعليم المخصص للأهالي يتزود منه علما أن ذلك التعلم كان مجانيا من قبل وقد أهملت المدارس والمحاضر، وهاجر الأساتذة والمعلمون أثناء فترة الحرب إلى المناطق الداخلية التي لم تخضع لسيطرتها بعد وظل من بقي محروما من الأجرة والسكن وساءت أحوالهم المادية واكتفوا بأداء المهام المرتبطة بالشعائر الدينية، وأهملت الزوايا القريبة من مراكز الإستطان وهدم البعض الآخر كزاوية بتبرماسين –سيدي مصمودي- الزاوية الرحمانية بأحمر خدو والتي كان يترأسها سيدي الصادق بلحاج بعد ثورة **1859**، كما تسببت الانتفاضات في ضياع المخطوطات والمراجع القاعدية للتعليم.[2]

---

(1) إنتاج جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق،(تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية) ص ص: **246-247**.

(2) آجرون المرجع السابق، ج**1** (الجزائريون والمسلمون وفرنسا)، ص: **582**.

*حسب (**Pélissier de Reynaud**) وجد في معظم القرى مدارس للقراءة والكتابة وقال الجنرال **valsé**: الواقع أن جميع العرب يحسنون القراءة والكتابة في **1834** انظر: (آجرون، نفسه)، ص: **582**.

وكانت لجنة الاعتمادات المالية الاستثنائية أول من أخطر الحكومة بتردي أوضاع التعليم إلى درجة لا يسمح بتكوين القضاة ولا المفتين ولا حتى المدرسين كلف (**Alexis de Tocqueville**) بتحرير محاضر المعاينة وتعداد النقائص، فجاءت صياغتها في عبارات قاسية رسخت في الأذهان: " لقد بسطنا أيدينا على تلك الموارد (موارد المؤسسات الخيرية الهادفة إلى التكفل بحاجيات الناس في مجال الصدقات والتعليم العمومي)، وتركنا المدارس تتهاوى وشتتنا المحاضر فانطفأت الأنوار حولنا...، ومعنى ذلك أننا تركنا مجتمع المسلمين في حالة من الجهل والوحشية أكثرمن التي كان عليها قبل أن يتعرف علينا" [1]

ويصرح (بيرك) مدير الشؤون الأهلية خلال الحرب العالمية الثانية بعنوان" العلماء والمرابطون" بقوله: [إن عدم الكفاءة والمبالغة في الخضوع والانقياد، هي الشهادات التي تمكن أن يعتز بها هؤلاء ويضيف واصفا الشهادات التي تعتز بها الإدارة الفرنسية في تقييم هؤلاء العلماء والمرابطين]، فيقول: " ولقد وصل بنا امتهان واحتقار الدين الإسلامي إلى درجة أننا لقد أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي أو الإمام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التحسس ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي رقي إلا إذا أظهر للإرادة الفرنسية إخلاصا منقطع النظير" [2]

---

(1) آجرون، المرجع السابق،(الجزائريون المسلمون وفرنسا) ص: **582**.

(2) محمد البشير الإبراهيمي، جريدة البصائر عدد **177 51**، عيون البصائر، ص: **198** دائرة المعارف **1963**.

ويبدوا أن الاحتلال المعنوي الذي شد اهتمام الإدارة الاستعمارية لا يمكن تحقيقه حسب الإدارة الفرنسية إلا عن طريق التعليم حيث أكدت فيه السلطة على ضـــرورة أن تتفوق عدالتنا على ما يسمى العدالة الإسلامية حسب الحاكم العام سنة **1861** ولاحظ تقريره أن نشر اللغة الفرنسية بين صفوف الشعب يتعلمها بسهولة ولعل عدد الأهالي الذين يتحدثون العربية "ولتحقيق هذه النتيجة ينبغي مضاعفة عدد المدارس العربية الفرنسية وأول مدرسة عربية فرنسية أنشئت في باتنة **1857** ظلت خالية لمدة طويلة إلى غاية شهر ماي **1864** أصبح يتردد عليها سوى **5-6** تلاميذ ولم يكونوا يجدون لتعلمها طعما ولا ثمارا" وتولى المبشرون القيام بتلك المحاولة الأولى فحظوا باستقبال سيء من طرف الأهالي وكالعادة تمت الاستعانة بالقياد فطلب منهم إرسال أولادهم وبعد فترة من التردد لقيت التجربة نجاحا نسبيا.

وما فتئ عدد التلاميذ يتزايد حتى مبلغ أربعين تلميذ نهاية **1864** وكان معظمهم من أولاد القياد والقضاة والشيوخ والجنود الصبايحية المقيمين في باتنة.

وكانت الوسيلة الإشهارية الوعد والوعيد وبالمكافأة والعقاب التي أريد بها التغلب على نفور الأولياء من مدارس (الرواما) وسعت السلطات العسكرية إلى توسيع وإنشاء مؤسسات في نقاط أخرى مثل بريكة والحضنة وخنشلة ولعمامرة لتعميمه لدى بقية القبائل والواقع المرجو من ذلك هو تحويل الأولاد إلى عناصر يؤمل أن تساهم بفعالية في نشر الأفكار الفرنسية.[1]

والواقع من نشر متوسطات عربية-فرنسية كانت تهدف لتوفير موظفين لشغل مناصب إدارية في القضاء والدين للمساعدة في التعريف بفوائد الحضارة الأروبية لدى الأوساط المسلمة وأضعاف المدارس الكائنة وسط القبائل المسيرة من طرف معلمين ينظر إليهم أنهم متعصبون خطيرون[2]

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (الأوراس إبان فترة الاستعمار ج**2**) ص.ص: **341-345**.

(2) جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاحتلال (**1830-1844**) ص: **15**.

ويتبين مما سبق أن مسلمي الجزائر لم يكونوا مهتمين قط بالتعليم الفرنسي بالرغم من المنح وشتى المغريات المسخرة فاستهوائهم ففي أريس تم استناد الأعمال الخيرية والاجتماعية إلى الآباء البيض كمحاولة لجلب الأطفال نحو المدارس أقام هؤلاء بعد شهر أوت **1893** في برج حيث اهتم الأب (دوفال) والأب (بوبون) بإسعاف المرضى وعلاجهم في انتظار الانتهاء من بناء مستشفى كان الحاكم (كانبون) وراء هذه المبادرة الطبية حيث أنه كان يظن أنها تعجل بإدماج الأوراسيين وفي اعتقاده أفضل وسيلة لجلبهم ويقول بفضل الأدوية المجانية والعلاج الذي نقدمه لهم سوف يجعلهم يعترفون لنا بالجميل وعندئذ سوف تدفعهم ثقتهم التامة فينا إلى إرسال أبنائهم إلى مدارسنا.[1]

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي)ج**2**، ص: **350**.

ولقد كان ثمن الهزيمة في الانتفاضات والذي لا يمكن تقديره إلا من خلال أرقام مضبوطة لا تحمل اللبس أو الغموض، غير أن ما هو أسوا من هذه الخسائر المادية التي نما بعضها بعد سنوات من العناء تلك هي المأساة التي حلت بالمواطنين نتيجة القهر والإذلال فكان تأثيره أسوا بكثير من التجريد من الممتلكات والاغتيالات قصد تصفية حسابات وانتهاكات للحرمات والنفي إلى المجهول والحجز والتسخير والتغريم وكانت الخسائر كمثال على ذلك بعد ثورة **1879**.

الخسائر بالأرقام:

الرهائن: تم القبض على هؤلاء الأشخاص ووضعهم رهن الحبس الاحتياطي كرهائن لمنح تجديد أعمال العنف

القبيلة	***أولاد داود***	***بنو بوسليمان***	***بنو أوجانة***	***المجموع***
العدد	**77**	**70**	**21**	**168** شخصا

النفي والإبعاد تم إبعاد عددا من العائلات ونفيها خارج الأوراس

القبيلة	***أولاد داود***	***بنو بو سليمان***	***بنو وجانة***	***المجموع***
العدد	**20** عائلة	**26** عائلة	**12** عائلة	**58** عائلة
الدائرة	موزعة بين القل وتقرت	شعبة سطيف العسكرية	دائرة جيجل	

عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (ثورة الأوراس **1879**)، ص: **49**.

المبحث الثاني:

التأثيرات الاقتصادية:

أوضاع الاقتصاد التقليدي للأوراس

أ- الصناعة والتجارة

ب- جباية الضرائب واغتصاب الأملاك

ج- مصادرة الأراضي

د- قوانين الغابات

التأثيرات الاقتصادية:

أوضاع الاقتصاد التقليدي للأوراس بعد الاحتلال:

كان الاقتصاد الأهلي لسكان الأوراس يرتكز أساسا على نمط الإنتاج الرعوي الخفيف والتوسعي، وكان يستوجب توفر مساحات شاسعة بسبب الأساليب التقليدية التي لا تعتمد على الحرث العميق ولا على التخزين ولا الأسمدة الكيماوية بل كان يلجأ إلى ترك الأرض"تستريح سنة بسنة" لتمكينها من تجديد كميات الآزوت الضرورية لزراعة الحبوب[1] تلك الأساليب تجعل مردود الزراعة والرعي محدودا لا يتجاوز 5 أو 6 قناطير في الهكتار الواحد.[2]

وبعد سلسلة الهزائم التي لحقت بالسكان خلال وبعد الثورات الشعبية ضمن الاحتلال والاستقرار على الأرض التي أفتكوها من أهلها بحد السيف. فكان لهم أن ينسوا القوانين التي تبيح لهم ملكية الأرض وتحدد لهم طرق استغلالها وأن يطبقوا مقولة بيجو الشهيرة: «احتلال الجزائر بالسيف والمحراث، السيف في رقاب العرب والمحراث في يد المستعمر الفرنسي».[3]

فتزعزعت الصورة التقليدية للسكان بفعل الوجود الأوروبي وبفعل امتداد أساليب الاقتصاد القائم على مقاييس الربح والتسويق. واضطرب الاقتصاد التقليدي بشكل كبير أثر على عمليات مصادرة الأراضي وحشر السكان وتهجيرهم، وغلق العديد من مداخل الغابات التي تعود الأهالي على اتخاذها مراع صيفية ومناطق زراعية كثيفة.[4]

---

(1) استراحة الأرض تسمح باستعادة طبيعية لكميات النترات بمعدل 18.36 كغ في العام لكل هكتار(آجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا) المصدر السابق ص:671.

(2) نفسه، ص: 671.

(3) مسعود عثماني، المرجع السابق، (أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد)، صك 94.

(4) آجرون، المصدر السابق، ص: 672.

ومن الأسباب التي أدت إلى بؤس وإفلاس السكان العرب هو مصادرة أخصب أراضيهم وأسهلها سقيا، ولم يترك للأهالي سوى أسوء أنواع الأراضي وذلك ما صرحوا به لحرمانهم من استعمال الأراضي القريبة من مياه السقي[1] وشرحوا للمحققين أن المسألة لا ترتبط بوفرة الأراضي وإنما بنوعيتها إذ لا تزال بحوزة الأهالي مساحات شاسعة[2] ومن أجل امتصاص غضب الجزائريين سنت الإدارة الفرنسية قانون «سوناتس كونسيلت»[3] في22 أفريل 1863 الذي يقضي بتمليك الجزائريين للأراضي التي تحت أيديهم سواء كانت ملكية شخصية أو أملاكا مشاعة (عروشية)[4] وقد أريد بهذا القانون تهدئة الأوضاع وإعطاء متنفس للأهالي لتجنب مزيدا من الانتفاضات والثورات، غير أن هذا القانون أغضب المعمرين وأثار استياءهم فاضطر الإمبراطور نابليون إلى إصدار قانون 7 جويلية 1864 أعاد فيه السلطة للحكام العسكريين على حساب المدنيين فاشتدت قبضة العسكريين كما كانت بداية الاحتلال فاستسلم السكان للوضع الراهن وراحوا يطبقون قرارات السلطة بما تحمله من تعسفات وتغيرات في نمط حياتهم على سبيل المثال: أ- إنشاء قيادات. ب- حيازة أراضي. ج- تنظيم قطاع الغابات. د- إحصاء شامل لجميع الممتلكات.[5]

---

(1) كان العرب يشتركون في عملية سقي أراضيهم من مجاري المياه المجاورة بواسطة إنجاز حواجز من تراب أو سدود بدائية تهدف إلى رفع مستوى مياه الأودية (آجرون)، ص: 672.

(2) نفسه، ص: 673.

(3) كلمة مشتقة من لفظ سينات وهو مصطلح يطلق على البرلمان، وهو مشتق من لفظة نائب البرلمان، وسيناتوس كونسلت تعني القرارات التي يصدرها السينات لتقوية القانون، صدر في 4 جويلية وجعل الجزائري المسلم " فرنسيا" يخضع للشريعة الإسلامية ولا يتمتع بالحقوق المدنية والسياسية إلا إذا حصل على المواطنة الفرنسية، أنظر: خبرارة السعيد وآخرون: المفيد في المصطلحات التاريخية. ب ط، مصر، منشورات عشاش، 2007 م، ص: 85.

(4) أملاك مشاعة: « وهي أصل جميع الملكيات وتوجد في بعض المناطق الأوراسية مثل الصحراء المحاذية للسفح الشرقي من جبل أحمر خدو، ولها نظام خاص لخدمتها بحيث يشترك جميع المالكين فيها لفلاحتها، ويقتسمون محصولها على نسب معينة، عن طريق العرف، وسميت مشاعة لأنها مملوكة على الشياع بدون تحديد لأنصبة الملكية الفردية فيها »أنظر: جمعية أول نوفمبر تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية، ص: 83 .

(5) مسعود عثماني، المرجع السابق، ص: 94 .

كل هذه المستجدات كرست الوجود الأوروبي على هذه الأرض ونقلت إليه كل مظاهر الحياة الأوروبية لتضمن لهم الاستقرار ولتضع المواطن في وضع يجرده من كل أسباب النهوض حيث وضع اقتصادي صعب واجتماعي متدن ووضع سياسي جائر جرده من كل الحقوق.

وعليه يقول الجنرال بيجو: «يجب علينا أن نكون أقوياء لتحمل الظلم الذي لا مفر من ارتكابه نحو العرب ونحن مذنبون كما ينبغي تخفيف فعالية الظلم عن طريق التعويضات من طرف إدارة ذكية وأبوية. »

ويقول أيضا: « وفي كل مكان توجد به مياه عذبة و أراض خصبة فهناك لابد من توطين المعمرين بدون التعرف إلى من يمتلك الأراضي، كما يستوجب توزيعها لهم في إطار الملكية الخاصة » [1]

كانت قطعان الماشية أكثر تضررا، بسبب توسيع المساحات المحروثة لتشمل قسطا من الأراضي الرعوية، وكان تردي الأوضاع بارزا للعيان في المناطق التي تم إجلاء الأهالي منها، غير أن المكاتب العربية تمكنت من تقدير الخطر فحاولت معالجته بالفرض على الأهالي زراعة تطوير زراعة الأعلاف وبعض المزروعات الصناعية (كزراعة القطن والتبغ) وتوزيع بعض المحارث الخفيفة وبعض الأمشاط والمناجل غير أن النتائج كانت ضعيفة ومحدودة جدا، وباختصار فان إجلاء الأهالي لم يمكنهم من استلهام الأساليب الحديثة ولم يتمكنوا من مواجهة المخاطر الناجمة عن سلب ممتلكاتهم.[2]

(1) شارل- أنري فافرود، الثورة الجزائرية. ترجمة كابوية عبد الرحمن وسالم محمد، منشورات دحلب 2010،الجزائر، ص: 28.

(2) شارل روبير آجرون، المصدر السابق ج1 ، ص: 673.

ولم يكن الفلاح الأوراسي يستهلك سوى المواد التي ينتجها أو التي يتحصل عليها بالمقايضة مع بعض القبائل الأخرى حيث إن حاجاته للمشتريات كانت محدودة جدا والمصاريف كانت مقصورة على الضروريات مثل: الزيت، السكر، القهوة (البن) والتوابل والشمع والبترول للإضاءة بحسب ما تسمح به موارده المحدودة التي كانت تتراوح بين 550 فرنكا إلى 1,510 فرنكات للعائلة الواحدة والضعف في الميزانية يعود إلى أن العائلات كانت تصنع جميع ما تحتاج إليه لتحقق الاكتفاء الذاتي وتعيش في نظام اقتصادي مغلق.[1]

غير أن الاقتصاد النقدي الرأسمالي، الذي دخل مع الاحتلال ودخول المعمرين أصبح كارثة كبرى على الأهالي، هذا الاقتصاد المعاصر المعتمد على الكمية والمساحات الشاسعة والذي أصبح يفرض نفسه، ودخل الاقتصاد النقدي إلى المناطق الداخلية (إلى القبائل الأوراسية) لأول مرة في عهد الإمبراطورية الثانية بعد شق الطرقات.[2]

ولم يكن الفلاحون فيما مضى يبحثون عن أسواق لبيع منتوجاتهم بل كانوا يخزنون الحبوب في أهراء، وعندما تجود الأعوام بغلال وفيرة يتخذونها ذخرا للسنين العجاف، أما اليوم فإنهم يقومون بتسويق فائض الغلال ويستهلكون النقود خاصة زمن المجاعة عندما ارتفعت أسعار القمح بين سنوات 1852 – 1858 كانوا يفضلون اكتناز النقود (الدورو) عوض تخزين القمح.

الواقع أن العرب كانوا يقعون ضحايا الغبن فمن منطلق أنهم كانوا متعودين على أسلوب المتاجرة بالمقايضة فإنهم لم يتعودوا على بيع القمح إلا بالمقادير التي تسمح لهم بالتخلص من الضرائب المفروضة عليهم.[3]

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي)، ج2 ص: 397 .

(2) شارل روبير آجرون، المصدر السابق،ج1، ص: 674.

(3) نفسه، ص: 675 .

أ- الصناعة والتجارة:

وعلى نطاق القطاع الصناعي فقد كان صغيرا لصيقا بأنماط الإنتاج التقليدية ويتمثل في نسيج القطن والبرانس الصوفية وصناعة الفخار والأسلحة ودباغة الجلود ويبدو أن تلك الصناعة كانت تستجيب لحاجيات عدد معتبر من سكان المدن (ربما وصل إلى 5% من المجموع) كما تسمح بتوفير بعض الفائض للقبائل المتخصصة في تلك الحرف.[1]

مع الزمن لم يبق من الصناعات التقليدية سوى الصناعات العائلية التي لا يمكن اعتبارها نشاطا صناعيا وقد أسندت فيها مهام الإنتاج إلى النساء. من هنا جاء دور المرأة في النشاط الاقتصادي البسيط المتمثلة في الغزل والنسيج وصناعة الأفرشة والعباءات والوسائد و" الغراير " (أكياس الحبوب) و " المزود " للطحين والسمن، وصناعة الفخار كانت نشاطا نسويا محضا باستعمال الطين المتواجد على مقربة من المساكن حيث تتولى المرأة الشاوية صناعة الأواني المنزلية الضرورية مثل: القدور والصحون، وأواني الغرس والقناديل والكانون والجرار الكبيرة لخزن السمن والحبوب. [2]

واستغلت الحلفاء في القرن التاسع عشر في نسج الحصائر وصناعة السروج والحبال والأحذية والبرادع وكان الحرفيون يحققون إكتفاءا ذاتيا نتيجة وفرة المنتوج وبيع منتوجاتهم في الأسواق الحضرية، إلى صدور قانون 9 ديسمبر 1885 المتعلق باستغلال نبات الحلفاء وصارت هذه المادة النباتية الثمينة في تناقص بسبب منع الناس من استغلالها لأغراض شخصية. [3]

---

(1) آجرون، المصدر السابق، ص: 683.
(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 398.
(3) نفسه، ص: 398.

أما التجارة الخارجية فقد شهدت ركودا خاصة في 1870 لأنها كانت تقوم بها القوافل فقد ماتت باستثناء المبادلات في المدن الحضارية الكبرى حيث كان البدو الرحل القادمون من أعماق الجنوب الكبير يواصلون ترددهم على مدن الشمال لتزويدها بما يجلبونه من سلع ومؤن وأدى هذا إلى تطور التجارة الداخلية التي استفاد منها الأوروبيون واليهود[1] أما تجارة التصدير فقد فرضت نفسها فيما استجلبته من الأصواف والحبوب نحو موانئ التصدير [2] وسيطرت السلطات الاستعمارية على ثلاثة أرباع من صادرات الجزائر عامة إذ كانت المنتوجات الجزائرية تنقل بواسطة السفن الفرنسية إلى البلد الأم.[3]

وبفضل الحماية التجارية التي فرضتها فرنسا على اقتصادها ثم وسعته ليشمل مستوطناتها في الجزائر، كانت تصدر منتوجاتها معفاة من الرسوم فتمكنت من مواجهة المنافسة العالمية في قطاع الحبوب والمواشي والخمور.[4]

---

(1) شارل روبير آجرون، المصدر السابق، ص ص: 684 – 685

(2) حلمي محروس إسماعيل: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوف الجغرافية إلى قيام الوحدة الإفريقية، د ط، مصر. مؤسسة الجامعة، 2004م، ج1، ص:206.

(3) شارل روبير آجرون، المصدر السابق، ص ص: 975 – 976.

ب- **جباية الضرائب واغتصاب الأملاك:**

مع أول اتصال بين الأوراسيين والاحتلال في سنة 1844 أجبر الناس على دفع كميات من الحبوب وإفراغ المطامير المتواجدة مثلا في لمبيز وعند أولاد فضالة، أولاد سيدي يحي الذين تمردوا على السلطة الاستعمارية اجبروا أربعة عشر من عشائر السهول على تقديم أربعين صاعا من الشعير في مختلف مراكز الجباية، ولقد صرح (الدوق دومال) في تقريره إلى الحاكم العام بتاريخ 9 جوان 1844 « إن ما دفعته منطقة الأوراس وبلزمة من القمح والشعير والتين في شكل عشور يكفي حاجيات الجند والخيل» ثم أضاف بخصوص الغرامات المفروضة على قبائل بلزمة بعد إخضـاعها: « لقد تم تحصيل مبلغ 60.000 فرنكا بدون مشقة ويضاف إليه ما تم تحصيله من أولاد الشيخ لخضر ويحي بن زكري فسيكون المبلغ الإجمالي 100.000 فرنكا »[1]

ومما زاد الطين بلة فرض على المنطقة بعد إخضاعها دفع ضريبة حرب قدرت ب: 127.860 فرنكا بالإضافة إلى مبلغ 223.482 فرنكا فرض باسم العسة أو اللزمة من طرف القايد في كل من بسكرة ولوطاية فصار مجمل ما دفعه الأوراس 484.287 فرنكا من الضرائب المتبوعة لسنة 1845. [2]

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي) ص ص: 233 – 234.

(2) نفسه ص: 235.

ولقد ارتفعت الضرائب بصورة متباينة حسب تبعية كل ناحية إلى قايد معـين فكانت نسبة الزيادة تختلف من منطقة إلى أخرى ففي باتنة كانت الزيادة11 % وفـي أولاد بوعون 14 % وعند أولاد سلام 13 % وعند أولاد سلطان 17 % . هذا بالنسبة لضرائب الحكر أما ضريبة العشور فلم تسلم هي أيضا من الزيادة فقد كانت متبايـنة هي أيضا حسب القبائل وتراوحت بين 9 % إلى 12 % أو أكثر خلال سنة 1845. [1]

أما بعد ثورة 1849 فقد شملت ضرائب الحرب منطقة الأوراس أيضا لمشاركتها في انتفاضة الزعاطشة فقد دفع الناس زيادة عن الضرائب مبالغ ضخمة نقدية وهي نوع من القصاص والعقوبات واختلفت من قبيلة إلى أخرى، ونقف على أسلوب أخر من أساليب الاغتصاب الذي كانت الإدارة الفرنسية تمارسه، فعلى سبيل المثال: أولاد أفضالة دفعت 2.000 فرنك، أولاد داود 6.675 فرنك، أولاد سلطان 10.000 فرنك، أولاد سلام 1.600 فرنك، أولاد عبدي 6000 فرنك ..... كل هذه الغرامات النقدية دفعت للقائد الفرعي الإداري، والمبرر على ذلك هو التمرد والعصيان.[2]

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ج1 ص: 236.

(2) نفسه ص: 237.

ولم تكن فكرة حجز أملاك القبائل الثائرة بالأمر الجديد فقد نص عليها الأمر الصادر في 31 أكتوبر 1845 وتبناها (ألكس لمبير Alexis Lambert) محافظ الجمهورية بموجب مرسوم 31 مارس 1871 والذي نص على حجز الممتلكات الجماعية والخاصة، ولتبني فكرة الحجز أمر الأميرال (دوكيدون De Gueydon) في إنشاء لجنة خاصة مكلفة بدراسة الموضوع وفي 21 جوان توصل المجلس إلى تبني اقتراح ينص على تخصيص 100.000 هكتار لفائدة سكان منطقتي (لوران والألزاس) الراغبين في الرحيل إلى الجزائر والإقامة فيها.[1]

وتفاقم حجم الضرائب خلال سنوات 1855 إلى 1860 بدون هوادة على مقاطعة الأوراس. بين العشور واللزمة والحكر والزكاة وربما الغرض من ذلك هو إرهاق السكان لكي لا يقووا على الانتفاضة مرة أخرى.[2]

وبسبب الخراب الذي تركته الحرب وما ترتب عمها من ضرائب الحرب والغرامات والأتاوات وتصريف احتياطي الإنتاج السكاني لأوروبا من القمح الذي شحن منه ما يقارب 5,200 قنطار و2,800 قنطار من الشعير من دائرة باتنة نظرا لأن السكان كانوا بحاجة إلى النقود لدفع الضرائب ولأنها كانت مرتفعة خسر الفلاحون قمحهم ونقودهم فتدهورت بذلك الثروة الحيوانية من البغال، الخيول والأبقار والثيران، الأغنام والماعز وتراجعت الثروة الحيوانية بنسبة 72 % من الغنم والماعز و 45 % من الأبقار. وتم انتزاع الخيول من السكان[3] عن طريق الحجز لاستعمالها في القوة العسكرية.

---

(1) آجرون، المرجع السابق« الجزائريون المسلمون وفرنسا»، ص: 683.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 240.

(3) نفسه ص: 240.

ج- مصادرة الأراضي:

هي سياسة اتبعتها الجمهورية الفرنسية الثالثة[1] جاءت بأفكار جديدة من أجل إتمام سيطرتها على الاقتصاد الجزائري وتوجيهه لخدمة اقتصادها. واتبعتها فرنسا لمعاقبة الأهالي الثائرين سنة 1871، حيث منحت تلك الأراضي للمستوطنين القادمين من الألزاس واللورين أما فيما يخص الغرامات النقدية التي تم جمعها بعد كل ثورة من الثورات فقد تم توجيهها في إصلاح المدارس والثكنات والكنائس.[2]

وقانون 1887 شمل مصادرة جميـــع الأراضي الجبلية والصـــحراوية والذي يمكن اعتباره تكملة لقوانين المصادرة التي سبقته، فمثلا القانون الإمبراطوري الصادر في 1863 قد مكن من حيازة أراضي الحرث بينما فتح القانون المذكور(1887) آفاقا جديدة تسمح بوجه الخصوص باقتناء غابات وأراضي رعوية على حساب الفلاحين.[3]

---

(1) كان في 4 ديسمبر 1870م عند انهزام نابليون الثالث وسقوط الجمهورية الثانية كما أن الفرنسيين كانوا يرفضون سياسته، أنظر: يحي بو عزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986م، ص: 191.

(2) محمد بلقاسم حسن بهلول، القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر تحديده ونظام دمجه في الثورة الزراعية، د ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 ص: 121.

(3) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق(الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي 1837 –)1939، ج 2، ص ص: 311 – 314 .

وأظهرت لجنة المحافظة براعة في تطبيق القانون المتعلق بالأراضي الرعوية الصحراوية لغاية توسيع تطبيقه على أراضي التل، واعتبار الجبال والمساحات الرعوية "شاغرة لا مالك لها" وتجوز مصادرتها لتصبح ضمن أملاك الدولة وقد كانت أولاد فضالة وأولاد معافة والتي كان عدد سكانها 2.864 نسمة وكانت تعيش في الجبال أو مما تدره عليهم من فاكهة جبلية أو ترعى فيها ماعز وغنم والتي كان يبلغ تعدادها 24.000 رأسا وفي سنة 1891 سمح لهم بالرعي فيها باعتبارها أراضي الدولة، لكن مع صدور منشور 1893 أصبح استعمال هذه المراعي ليس سوى تسامحا من طرف الدولة التي يمكنها أن تغير تصرفها في أي وقت.[1]

وقانون 1873 ويسمى أيضا بقانون المستوطنين، صدر هذا القانون في 26 جويلية، وتم بواسطته الاستيلاء على أراضي العرش[2]، ويعرف كذلك بقانون فارنييه (warnier)[3] وقام هذا القانون على تقسيم القبائل الجماعية إلى ملكية فردية وتمليك المستوطنين بهدف تشتيت السكان.

إضافة إلى قانون الحجز الذي صدر في نفس السنة وهو قانون يقوم على حجز الأراضي التي غاب عنها أصحابها.

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي 1837 – 1939، ج 2)، ص ص: 314 – 315.

(2) هي أراضي تخضع لملكية القبائل وتسمية أراضي العرش معروفة في إقليم قسنطينة، أنظر: رشيد فارح، المحطات الرئيسية لتأسيس الملكية العقارية أثناء فترة الاحتلال واثر ذلك على البنية الاجتماعية التقليدية للمجتمع الجزائري (العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830 - 1962) الجزائر. منشورات وزارة المجاهدين. 2007، ص: 91.

فارنييه: هو طبيب جراح ولد سنة 1810، عين مساعد جراح في مستشفى وهران 1830 ألحق بالقنصلية الفرنسية لدى الأمير عبد القادر بمعسكر،أنظر: صالح عباد (الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830 – 1930)، ص: 114.

من أهم ما جاء في قانون فارنييه:

- تنظيم ملكية الأرض وفق القانون الفرنسي مهما كانت جنسية المالك.
- كل من ينازع عن قطعة أرضه يضيع حقه بين المحاكم إذا لجأ إليها وكذا المستوطنين.
- في حالة شراء أحد المستوطنين لقطعة أرض من القبيلة يفرض عليهم تقسيمها كلها أو بيعها.
- إذا طلب أحد المالكين بتقسيم الأرض فتقسم كلها.[1]

- قانون 1887 والذي صدر في 27 أفريل والذي عمم مصادرة الأراضي على المناطق الجبلية وتجاوزها إلى المناطق الصحراوية.
- قانون 16 فيفري 1897 وصدر ليضع حدا لقرار 26 جويلية 1873 وعلى أساسه تمت تصفية أراضي العرش من جميع الحقوق (الديون) وعليه على أصحابها تقديم طلب لإعطائهم أرض ملك.[2]

(1) صالح عباد: الجزائر بين فرنسا والمستوطنين (1830 - 1930)، د ط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د س ص: 115.

(2) الطاهر ملاخسو، نظام التوثيق في ظل التشريعات العقارية بالجزائر (1830 - 1962) العقار في الجزائر، ص: 43.

- قانون 28 جوان 1898 تم بموجبه إنشاء لجنة حماية الملكية الأهلية من طرف الحاكم العام في الجزائر والغرض تقديم دراسة لضمان ملكية الأهالي، وقامت اللجنة بعدها بتوزيع استمارات بها أسئلة لمعرفة الوضعية القانونية لمختلف أراضي الأهالي في سنة 1899 [1].

كل هذه التخطيطات الهدف منها هو الاستيلاء على مساحات هامة من الأراضي بهدف إنشاء مراكز للاستيطان، فكان من الضروري تجريد أكبر عدد من السكان من أراضيهم.[2]

وعلى سبيل المثال:

كانت قبيلة " مشونش " تعد 1441 نسمة فتقرر تجميعها في دوار واحد يتألف من أربعة قرى وهي:" مشونش – بنيان – أريس والهابل " واستفادت هذه القرى مجتمعة بملكية 3170 عنزة و805 خروفا ولا شيء من السائمة يسبب الفقر الشديد للتربة التي جلها عبارة عن جبال صخرية قاحلة عارية من الغطاء النباتي، أما البساتين والنخيل والأشجار المثمرة المتواجدة على جانبي الواد الأبيض فكانت عبارة عن أملاك خاصة تبلغ مساحتها 37,317 هكتار و86 آر و42 سنتيار والباقي رسمته اللجنة كما يلي:

أراضي البلدية (المراعي- المقابر- المساجد- الدكاكين) ومجموعها 9840 هكتار.

الأراضي الحكومية (الأوقاف والغابات) 56 هكتار.

الأراضي الزراعية الجماعية (عيون- ينابيع- آبار- مجاري مياه- طرق) 574 هكتار.

وهكذا تم تفكيك وإضعاف القبائل والعائلات الارستقراطية وتفكيك عرى القبيلة.[3]

---

(1) شارل روبير آجرون، (الجزائريون المسلمون وفرنسا)، المرجع السابق ج1 ، ص ص: 225- 226.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي 1837 –)1939، ج 2، ص: 332.

(3) نفسه، ص: 288.

د- قوانين الغابات:

- صدر أول قانون فيما يخص الغابات في 17 جويلية 1874م جعلت السلطة الفرنسية بموجبه الغابات ملكا لها، وشرعت مبدأ معاقبة كل من يتسبب في حرائق الغابات[1] رغم أن سياستـها الاستعماريـة تقـوم علـى سياسة الأرض المحروقة التي انتهجها الجنرال « بيجو».
- وصدر قانون 1885 على اثر حرائق 1881 بعد شكاوي أصحاب الاقتطاعات والذي صدر في 9 ديسمبر، وهو قانون زاد من التشدد على السكان في انتزاع الأراضي الرعوية وإعطائها للكلون من أجل زراعتها كما عوقب السكان على الأشجار التالفة بدعوى الرعي غير المنتظم وقاموا لذلك بترحيل الكثير من العائلات الجبلية.[2]

وبصدور قانون 1893 الذي قرر في 5 فيفري ويقضي بالمصادرة وفرض الغرامات الجماعية[3] لأعمال الحرث المحسوبة على الغابات، من بين الجنح التي تستدعي عقوبة بمبلغ يتراوح بين 20 و200 فرنك للهكتار الواحد أو بعقوبة الحبس.[4]

---

(1) أوليفي لوكوغرانميزون، الاستعمار الإبادة، تأملات في الحركة والدولة الاستعمارية، ترجمة: نورة بوزيدة، د ط، الجزائر. دار الرائد، 2008م ، ص: 269.

(2) الجيلالي صاري وآخرون: الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية (1900- 1954) الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، دط، الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987م، ص:147.

(3) لم يتم العمل بالغرامة الجماعية منذ سنة 1892 وحين تقرر العمل بها من جديد طبقت 32 مرة خلال سنة 1893 و 6 مرات في سنة 1894 و7 مرات في سنة 1895، أنظر (آجرون، المرجع السابق الجزائريون المسلمون وفرنسا)، ص: 886

(4) شارل روبير آجرون، نفسه، ص: 886.

المبحث الثالث:

السياسة الإدارية في الأوراس غداة الاحتلال

أ- مرحلة الحكم العسكري

ب- انحصار نفوذ الحكم العسكري

ج- الإدارة المدنية

د- أوضاع السكان في البلديات المدنية المختلطة

المبحث الثالث: السياسة الإدارية في الأوراس غداة الاحتلال:

بعد اجتياح الأوراس من قبل الحملة التي قادها الجنرال بودو بين سنتي **1844-1845** أصبحت منطقة الأوراس خاضعة للنظام والحكم العسكري بباتنة وقد واجهت السلطات العسكرية صعوبات كبيرة من طرف الأهالي بسبب المقاومة التي كانت تظهر في كل جهة باستمرار، ورغم العقوبات الجماعية والاضطهادات التي تعرض لها السكان من إحراق المزارع والقرى ونهب الأموال ومصادرة الأراضي والقتل الجماعي وأحكام السجن والإعدام والمطاردة والتهجير، والنفي خارج الوطن في الجزر النائية في عرض البحار والمحيطات.

ففي **1** فيفري **1844** صدر قرار إنشاء المكاتب العربية لتكون واسطة بين الفرنسيين والسكان ويرأسها ضباط فرنسيين مهمتهم:

- كسب بعض الأعيان ليعملوا بجانبهم.
- متابعة رجال الزوايا وإرهاقهم بشتى الأساليب.
- تشتيت الشخصيات ذات النفوذ والتأثير على الأعراش[1]

وفي أفريل **1845** صدر مرسوم يؤكد إلحاق الجزائر بفرنسا ويقسمها من الناحية الإدارية إلى ثلاث مناطق وهي:

- منطقة مدنية: تخضع للإدارة المدنية، وتشمل المدن والقرى الساحلية ويكثر فيها العنصر الأوروبي.
- منطقة مختلطة: يقل فيها العنصر الاروبي فيخضع فيها الأوروبيون للحكم المدني والأهالي للحكم العسكري.
- منطقة عسكرية: ينعدم فيها العنصر الأوروبي تماما وتشمل الهضاب العليا والأوراس والصحراء فيخضع فيها الأهالي للحكم العسكري الصرف[2].

---

(1) إنتاج جمعية أول نوفمبر في الأوراس: المرجع السابق (تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية إثناء فترة الاحتلال من **1837-1954**)، ص: **223**.

(2) نفسه، ص: **224**.

أ/ مرحلة الحكم العسكري:

وبعد ثورة الزعاطشة صار لزاما على مكتب شؤون العرب ان يتولى مهام قيادته مباشرة بحيث يتولى مراقبة القياد وتوجيههم، والقيام بجولات منتظمة في مواطن القبائل للإطلاع على الحالة النفسية للسكان(1).

وتقرر تقسيم أقاليم الأوراس إلى مراكز عسكرية تحت حكم عسكري.

- منها مركز تازولت ويدخل تحت نفوذه وادي عبدي وادي الأحمر ووادي الطاقة ووادي الأبيض.
- مركز حوزأريس خاضعا للحكم العسكري ببسكرة ويشمل سكان جبل أحمر خدو وسكان مشونش(2)

وأثناء تنصيب الحاكم العسكري في كل من تازولت وتكوت بدأ البحث عن شخصيات لها تأثير على السكان لتسند إليهم مهام قيادية

_ فعينوا عائلة ابن قامة على بسكرة والزيبان

_ عائلة بن شنوف ونفوذها في الأوراس

_ عائلو بوعكاز ونفوذها على الصحراء

_ عائلة بن حسين وتعرف باسم عائلة بن ناصر ونفوذها على خنقة سيدي ناجي وزريبة الوادي(3)

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي **1837-1939**) **12**، ص: **188**.

(2) جمعية أول نوفمبر بالأوراس، المرجع السابق (تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الإجتماعية والإدارية أثناء فترة الإحتلال **1837-1954**) ص: **224**.

(3) نفسه، ص: **224**.

وكانت المكاتب العربية التي أحدثت بين سنوات **1844-1949** مهمتها هي ضمان التسيير لا مركزي ويتكون المكتب العربي من:

- قائد المكتب وهو برتبة ملازم نقيب وفي حالات نادرة برتبة رائد يساعده ضابط أو عدة ضباط برتبة ملازم أو ملازم أول، وبمساعدة قاض ومساعديه وكاتب فرنسي برتبة ضابط صف أو عريف وضابط في الصحة وكاتب عربي أوً خوجةً لتحرير المراسلات باللغة العربية وأخير ترجمانً وشاوشً أي عدد محدود من الموظفين بمعدل **10** أشخاص وكتب النقيب (**Hugonnet**) يقول: (إن المكتب العربي هو همزة الوصل بين الجنس الأوروبي والجيش الأهلي)[1].

أما مهمة القياد الذين عينهم الحاكم العسكري تتمثل في:

- تطبيق الأوامر الصادرة من الضباط العسكريين
- مراقبة تحركات السكان، وضبط سياستهم
- استخلاص الضرائب بوسائل التهديد والقهر[2]

ويتبين أن مؤسسة المكاتب العربية التي أنشئت كانت أصلا لمهام الإعلام والرقابة والتفتيش، وقد عينت أصلا بصلاحيات عظمى[3]

---

(1) شارل روبير آجرون، المرجع السابق (الجزائريون المسلمون وفرنسا **1871-1919**) ج**1** ص: **249**.

(2) جمعية أول نوفمبر بالأوراس ، المرجع السابق، ص: **224**.

(3) (كان تنظيم المكاتب العربية يهدف مباشرة إلى مهمة عسكرية محضة تمثل السياسة والقيادة ركائزها الأساسية، فلم تعد تستجيب لهذا الهدف وصارت أقل كفاءة في تحمل مهامها وغير مجدية تتجسد في إدارة ورقية لم يعد الأهالي يفهموها) آجرون المصدر السابق ص: **251**.

كما عينت السلطة الفرنسية على رأس كل عرش من الأعراشً شيخاً ليكون واسطة بينهم وبين السكان ويتمثل دوره فيمايلي:

-تبليغ المعلومات لـً القايدً عن أوضاع الشعب.

- تنفيذ الأوامر التي يزوده بها.
- جمع الضرائب من مكاسب الأهالي[1]

و ضمن هذا التنظيم (العسكري) مقاليد الحكم في يد المعمرين الأوربيين وخلاصة القول أن النظام العسكري جاء لتحطيم نظام وقوانين الجزائريين (خاصة القبائل- الحكم القبلي) قصد تكسير العلاقات العائلية وإقامة نظام جديد يحل محل النظام المألوف ويضمن خطة السلطات الفرنسية العسكرية القائمة على الإستلاء على أراضي الأعراش، وإخضاعهم لنفوذها الذي يتوقف على تحويلهم من مالكين إلى أجراء يعملون لتنمية ثورات المعمرين[2].

- قد تولى عدة ضباط وجنرالات مقاطعة باتنة العسكرية وكان أولها:

- الجنرالً هيريبونً في **1** فيفري **1847** بعد أن حكم دائرة باتنة منذ **1844** برتبة قايد أعلى حيث تكفل بإخضاع المنطقة وتنظيم شؤونها وإرساء أولى محاولات الإستطان.
- وتعاقبت على قيادة باتنة العديد من الضباط برتبة كولونيل وجنرال منهمً كانروبـرت خلال السداسي الأول والجنرال (دولادميرول) خلال السداسي الثاني[3]

(**1**) جمعية أول نوفمبر بالأوراس الرجع السابق: تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الإجتماعية والإدارية **1837-1954**) ص: **225**.

(**2**) بوعزة بوضرساية وآخرون: الجرائم الفرنسية الإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن **19**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر **1954** دط **2007** ص: **180-182**.

(**3**) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: **198**.

ثم آلت قيادة المقاطعة إلى الكولونيل (كربوسكيا) من **1849-1851** ثم الجنرال (دوسفو) من **1853**إلى **1858** ثم الكولونيل (بان) من **1861** إلى **1863** ثم الكولونيل (سروكا) من **1863-1865** وكان الحكم بيد (أرموندو) من **1865** إلى **1868** وكانت فترة مجاعة وطاعون أما الجنرال (باري) فتسلم القيادة إبان إنتفاضة **1871** [1].وكانت فترة قيادة الجنرال (**Logerot**) (لوجرو) من **1876** إلى **1881** مع إنتفاضة **1879** مما عجل إلحاق العديد من بلديات الأهالي إلى مناطق الحكم المدني[2].

قانون الأهالي: طبق في **28** جوان **1881** وهو عبارة عن مجموعة من النصوص والإجراءات الإستثنائية، سنها المسؤولون الفرنسيون ضد الجزائريين الذين لا يوالوهم[3] وهو عبارة عن إجراءات زجرية عرف بقانون الأنداجينا[4]، حدد واحد وأربعين مخالفة للأهالي، يعطي للحاكم العام سلطة توقيع العقوبات على الأهالي دون محاكمة كما يعطي للسلطات الإدارية إمكانية سجن الأشخاص ومصادرة أملاكهم دون صدور حكم قضائي، وتوسيع سلطات قضاة الصلح، وخول لشيوخ البلديات حق مقاضاة الأهالي دون صدور حكم قضائي كما شرع مبدأ المسؤولية الجماعية بتطبيق العقوبات الجماعية ومنع الأهالي من التنقل بين المناطق والأقاليم بدون رخصة[5] ومن بين المخالفات الواحدة والأربعين حسب ماهي مثبتة: الحديث الذي يسيء لفرنسا والحكومة.

- رفض أو عدم القيام بواجب الحراسة.
- رفض الوكلاء المساعدين توفير المواد الغذائية ووسائل النقل مقابل دفع آني.

---

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: **198**.
(2) نفسه، ص: **199**.
(3) أبو قاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص ص: **443-449**.
(4) الأندجين: هو الفرد الجزائري الذي وضعته المعاملات الفرنسية في درجة دنيا أنظر: نفسه ص: **633**.
(5) يحي بوعزيز: سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (**1830-1954**) دط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، **2007**، ص: **38**.

ب)- إنحصار نفوذ الحكم العسكري:

يمكن اعتبار **1863** معلما لبداية انحصار نفوذ الحكم العسكري وإمبراطورية مكاتب الشؤون العربية وذلك بعد صدور مرسوم **27** فيفري **1860** الذي قرر توسيع حدود العمالة (عمالة قسنطينة).

باستثناء فترة (**1864-1868**) والذي خضعت فيه الجزائر مرة أخرى للحكم العسكري.

- المرسوم **7** جويلية **1864** نص على أن الإدارة العامة للتراب المدني والتراب العسكري هي تابعة لإقليم عسكري.
- المرسوم رقم **18** من نفس السنة ينص على أن المحافظ يمارس صلاحياته تحت سلطة قائد عسكري.
- تعميم التنظيم الإداري عن طريق مرسوم **20** ماي **1866** جاء لتقليص سلطة المكاتب العربية.
- مرسوم **27** ديسمبر **1866** يقضي بتعيين مجلس في بلدية باتنة المركزية يتكون من قائد المقاطعة الفرعية الجنرال (باري) رئيسا يساعده ثمانية أعضاء ومن قائد العتاد العسكري، ومن ملازم أول ومن رئيس مكتب الشؤون العربي وأربعة قياد على أساس قائدين لكل دائرة (بسكرة-باتنة)
- كانت المجالس البلدية الفرعية تجتمع مرتين في السنة ويمكن استدعاءه إستثنائيا بموجب ترخيص من الجنرال قائد الإقليم.

عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي تطورات الإقتصادية والإجتماعية (**1837-1939**) المرجع السابق، ص ص: **204-205**.

وفي **25** جوان **1865** انتقد الإمبراطور نابليون الثالث في زيارة للجزائر بشدة أساليب التسيير المباشر التي انتهجتها المكاتب العربية بقوله: (لقد أخضعنا القبائل لمختلف القلاقل الإدارية وحططنا السمعة التي تتمتع بها تلك العائلات التي رفعتها الأيام.....)[1]

_ مرسوم **21** مارس **1867** أطلق عليها وثيقة (**Chanzy**) (شانزي) كتشريع جديد للمكاتب العربية غير أنها لم تستطع أن تحي ما تهدم[2]

_ **11** ديسمبر **1873** إعادة تنظيم المنطقة إداريا تحت سيطرة قائد المقاطعة وهو نائب مدني ويساعده على ذلك لجنة بلدية مختصة.

_ **24** ديسمبر **1873** نص على تقسيم البلديات الإقطاعية إلى بلديات أهلية.

_ ألحقت عدة قبائل كانت مستقلة عن السلطة العسكرية بالتراب المدني بين **1874** ونهاية **1884** بفضل الضغط الذي مارسه أنصار نظام الحكم المدني بصفة مستمرة[3].

(**1**) شارل روبر آجرون: المرجع السابق، ص: **252**.

(**2**) نفسه، ص: **253**.

(**3**) عبد الحميد زوزو: الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي، التطورات الاقتصادية والاجتماعية (**1837-1939**)، ص: **207**.

أسندت الإدارة في كل من البلديات باتنة وخنشلة وبسكرة إلى لجنة تتشكل من:
قائد الدائرة، قائد الساحة وقاضي الشؤون العامة.
يضاف إليهم خمسة نواب يختارون من بين سكان الدائرة الإدارية.

- مرسوم **30** ديسمبر **1875** تم اختيار موظفي الإدارة المدنية لتولي مهام المكاتب العربية والاستفادة من جميع صلاحياتها[1]
- **24** فيفري **1876** مرسوم أستحدث مهمة الموظفين المدنيين ذوي خبرة بهذه المناطق بدلا من الضباط الأهليين.
- ديسمبر **1878** منح راتب ضئيل للقياد الذين حولوا إلـى مسؤولين بسطـــاء ومنهم من استغنوا عن خدماته[3].

(**1**) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي)، ص: **207**.

(**2**) القايد: كان يعين من طرف الوالي العام باقتراح من الحاكم ويسلم إليه الختم مع برنوس أحمر دلالة على تفويض السلطة إليه وتتمثل مهامه في:
- تبليغ جميع القضايا التي تبرز في دواره.
- الوضع الاقتصادي، الاجتماعي التعليم (العربي والفرنسي)
- الحالة المدنية الأعراس والمناسبات.
- الكوارث الطبيعية
- الهجرة داخل وخارج الوطن
- متابعة رجال الزوايا
- الوضع السياسي.

أنظر: إنتاج جمعية أول نوفمبر تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية، ص: **228**.

(**3**) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (**1860-1900**) ج**1**، ص: **422**.

ج- الإدارة المدنية:

تعرف المناطق المدنية: بأنها المناطق التي تتمتع بكثافة سكانية أوروبية كافية لجعلها تستقبل المصالح المدنية أو تكون مؤهلة لأن تستقبلها، وتقابلها المناطق المختلطة حيث تحول محدودية السكان الأوربيين دون القيام بذلك التنظيم التام، وأخيرا المناطق العربية المسيرة عسكريا.

ولاشك أن عدد المسلمين كان محدودا جدا في المناطق المدنية على إثر الهجرة التي أفرغت المدن تماما ولم يكن تواجدهم يطرح مشكلة ما للإدارة التي تجاهلتهم تماما[1].

في **3** ديسمبر **1873** استكمل تكوين البلديات عن طريق إلحاق بعض دواوير الأهالي إذ تم تحويل المراكز الأوروبية إلى البلديات، فأصبح هناك فائض في اليد العاملة وكذا الموارد المالية من خلال الضرائب في **24** ديسمبر **1876** تم حذف مصطلح الدائرة الإقليمية ببلدية مختلطة[2].

وتحولت كل القبائل المرتبطة ببلدية باتنة الأهلية سنة **1885** إلى بلدية باتنة المختلطة باستثناء أولاد داود وأولاد عبدي، وتم إنشاء بلديتين مختلطتين جديدتين هما: عين توتة، وعين لقصر بموجب قرار الحاكم العام الصادر في **29** ديسمبر **1884**.

(**1**) شارل روبير آجرون: المرجع السابق، (الجزائريون المسلمون وفرنسا) ج**1** ص: **254**.
(**2**) نفسه، ص: **289**.
(**3**) عبد الحميد زوزو، (الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي **1837-1939**) ص: **208**.

30 ديسمبر **1876** مرسوم نص غلى إختيار الإداريين من موظفي الإدارة المدنية بحيث تكون له خبرة مدة سنتين على الأقل، أو الضباط الذين يختارون من طرف الجنرالات ويشترط فيهم معرفتهم اللغة العربية ويجرى إختيار هم دون إنتخاب[1].

_ نوفمبر **1878** جاء هذا المرسوم أو القرار بتحديد المشرفين على البلديات المختلطة من عمال العمالات مع التفرغ لمراقبة بلديات دوائرهم[2].

وبالنسبة للأوراس فإن مضاعفة بلدية باتنة المختلطة بإنشاء بلديتين مختلطتين (عين ياقوت، عين التوتة) واقتراح بلدية خنشلة المختلطة بإنشاء بلديات بني بوسليمان ومقرها مشونش وتضم ثلاث قبائل كبيرة (أعشاش، أولاد عبدي، أولاد داود) من شأنه أن يكون نجاحا باهرا للمستوطنين[3].

وكانت قبائل بني بوسليمان وأحمر خدو من بين آخر مناطق الأوراس التي تم إلحاقها بالتراب المدني وكانت تابعة في أول الأمر لمركز تكوت المنفصل عن بلدية بسكرة العسكرية الأهلية لتضم إلى بلدية خنشلة ولم تلتحق ببلدية الأوراس المختلطة إلا في جانفي **1913** ويصف العسكر هذا التباطؤ بصفات (الحرب والتمرد)[4].

---

(1) شارل روبر آجرون: المرجع السابق ص: **294**.

(2) نفسه ص – ص: **183-284**.

(3) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق ص: **208**.

(4) نفسه، ص: **209**.

د- أوضاع السكان في البلديات المختلطة:

عندما شرع في إنشاء بلديات مختلطة، وهي دوائر إقليمية سابقة وتأسيس مجمعات دواوير جديدة وضعت تحت السلطة المدنية ابتداء من **1874** حيث تم تشكيل عشر بلديات مختلطة من **161** دوار وقبيلة ومنذ ذلك الحين شرعت إدارة (شانزي) في عملية منظمة كانت تهدف إلى إنشاء بلديات مختلطة بوتيرة تتراوح بين **8** إلى **10** بلديات في السنـة[1].

وتسير البلديات بمقتضى مرسوم **27** ديسمبر **1866** من طرف مجلس بلدي منتخب يمثله مختلف فئات المجتمع المتواجدة بالبلدية ويكرس نص المرسوم بأغلبية فرنسية بنسبة الثلثين من أعضائه ويمثل المسلمون واليهود والأهالي والأجانب نسبة الثلث من أعضائه على أن توزع المقاعد بين الطوائف الثلاث وفق الأهمية العددية[2].

وتحدد المادة **10** من نفس المرسوم الشروط الواجب توفرها في الناخب الفرنسي الأصل أو المتجنس، وتنتخب مجالس هذه البلديات لمدة **7** سنوات كما في فرنسا .

(**1**) شارل روبير آجرون ، المرجع السابق ، ص– ص: **289-290**.
(**2**) عبدالحميد زوزو: المرجع السابق ، ص: **210**.
(**3**) نفسه ، ص: **210**.

لقد أدخلً دوقيدونً بعض التصحيحات فيما يخص البلديات التالية:

- البلديات مكتملة الوظائف: تضم مائتين وخمسين ساكن فرنسي مقابل خمسمائة ساكن أهلي على الأكثر.
- البلديات المختلطة: تضم مائتين وخمسين ساكن فرنسي مقابل خمسمائة ساكن من الأهالي الرعايا الفرنسيين.
- البلديات الأهلية: والتي يكون فيها عدد الأوروبيين أقل من عشر السكان فيتولى تسييرها محافظ مدني أو قائد عسكري[1].
- مرسوم **5** أفريل **1884** البلد الصادر عزز الإدماج الإداري مع بلديات فرنسا بمعنى أن إدارة الجزائريين كانت مخولة إلى نواب من الأهالي [2].
- وبإصدار هذا المرسوم سمح لليهود بالحصول على الجنسية الفرنسية والمشاركة في الحكم مع الأوروبيين وبقي الجزائريون أصحاب البلاد الأصليين بعيدين عن المشاركة في تسيير بلادهم[3].

وفرض على الجزائريين معاناة الحياة المدنية تحت شروط صعبة ومهينة بسبب التفاوت الصارخ في نسبة التمثيل وهذا ما قلص الفئة الانتخابية التي ينتمون إليها[4].

---

(1) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية(**1860-1900**م) ج**1**، ص: **435**.

(2) عبد الحميد زوزو: (الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي) ج**1**، ص: **210**.

(3) بوعزة بوضرساية آخرون: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن **19** ، ص- ص: **183-184**.

(4) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: **211**.

كانت البلدية المختلطة في المناطق المدنية تبدو بمساحتها الترابية الواسعة وموظفيها الذين يرتدون البذلة العسكرية، وكأنها حلت فعلا محل المكاتب العربية، ولكن بتنظيماتها وتشريعاتها وكأنها استمرار للبلدية المختلطة العسكرية فقد تبين أنها من حيث المبدأ والواقع وخاصة لسعيها للتقليل من دور الجماعة (الأكثرية)[1].

فمثلا: في انتخابات **1848** بباتنة تم انتخاب **16** نائبا أوروبيا مقابل ثلاث نواب جزائريين بينما كانت نسبة السكان متساوية تقريبا(**1.316** جزائري/**1.262** فرنسي) وكان الحال نفسه في البلديات[2].

توسعت صلاحيات الحاكم المدني منذ صدور(قانون الأهالي) في **28** جويلية **1881** الذي يخوله صلاحيات قمعية في البلديات المختلطة[3].

كان ممثلو الأهالي عاجزين عن القيام بأي شيء بل أن حضروهم في مختلف اللجان البلدية ساعد المستوطنين ساعدهم على تحقيق رغباتهم[4].

(**1**) شار روبير آجرون ، المرجع السابق (الجزائريون المسلمون وفرنسا ج**1**) ص: **292**.

(**2**) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق (الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي ج**1**) ص: **211**.

(**3**) يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (**1830-1954**) ص: **38**.

(**4**) عبد الحميد زوزو: المصدر السابق ، ص: **212**.

لقد كانت التنظيمات الحاصلة في البلديات المختلطة كثيرة والقرارات فيها كانت دائما تخدم المستوطنين، ونذكر على سبيل المثال مصادرة أراضي خصبة في سنة **1879** من أملاك أولاد داود في فم الطوب وأعطيت عهودا بالتعويض لكن الأراضي تم تسليمها في النهاية إلى المستوطنين ولم تؤخذ تظلمات النواب المتجددة باستمرار منذ **1896** باعتبار أن الأراضي سلمت للمستوطنين باسم المصلحة العمومية[1].

وكمثال آخر في بلدية خنشلة المختلطة في قضية جمع الضرائب هو تقرير من الحاكم العام في عملية الإحصاء كانت النتائج غير مرضية حيث لاحظ أن رقم الخدمات بلغ سنة **1883**: **60.463** فرنكا ولم يتجاوز سنة **1884**: **54.498** فرنكا والفارق سلبي وفي نظر الإدارة هذا تراخي من النواب الأهالي في تنفيذ العمليات اللازمة وسوف يكلفون بضبط قوائم إضافية[2].

(**1**) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق ، ص: **212**.

(**2**) نفسه ، ص **213**.

إن هذه السلبيات المعتمدة والمتعمدة من السلطات الفرنسية في تسيير الإدارة أدت إلى انعدام القيم الإدارية، والمحافظة على الحد الأدنى من مصالح الشعب وبذلك أصبح الموظف والمنتخب غير قادر على التأقلم مع الأجواء المحيطة به.

وفي الحقيقة أن الإدارة الفرنسية كانت قوية جدا بأنها استطاعت بأسلوبها المخطط أن تسيطر على كل صغيرة وكبيرة بواسطة قوانينها التي امتازت بالدقة في التنفيذ.

وما تعيين القياد والكتاب والوقاقفة والحراس إلا دليل على أنها تسعى لحصر وضبط كل حركة في الدواوير والقرى فمثلا لو حدثت مشكلة فمن الصعب أن تتجاوز الوقاف والخوجة إلى القايد وإذا حدث ذلك فمن المستحيل أن تصل إلى الحاكم أما الوالي فبعيد جدا

- فالإدارة كانت بعيدة عن هموم الشعب
- ولم تعمل على تكوين إطارات محلية ذات كفاءة[1].

(1) جمعية أول نوفمبر بالأوراس: تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من **1837-1954** ، مرجع سابق ، ص: **230**.

الخاتمة

الخاتمة

لقد كانت الانتفاضات و الثورات الشعبية في الأوراس نتيجة لتداعيات سبقت إعلانها. فالأسباب و الدوافع حملت الأهالي على خوض الانتفاضة تلو الأخرى تعبيرا عن رفض الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و العسكرية التي مارستها السلطة الاستعمارية ضد السكان أثناء غزوها الأوراس، و بالرغم من قصرها إلا أنها أوصت صداها إلى الساسة الفرنسيين الذين شحنوا لها كل قواتهم العسكرية و الاستيطانية فقضوا عليها الواحدة بعد الأخرى.

وهناك أسباب متعددة لفشل انتفاضات الأوراس: منها:

-انعدام التكوين العسكري.

- الافتقار إلى الخبرة القتالية.

- الافتقار إلى الكفاءة القيادية.

- انعدام التنظيم.

- قلة الأسلحة.

- تفوق العدو عدة و عددا.

- شراسة العقوبات بعد كل انتفاضة.

- العمالة و الخيانة.

مما سبق يتضح أن الاستعمار الفرنسي قد بذل كل ما في وسعه من أجل إخماد نار المقاومة في الأوراس و استئصالها من جذورها بالقوة، فلا سياسة الأرض المحروقة و السلب و النهب و التقتيل و التهجير و مصادرة الأراضي والممتلكات و النفي و القوانين الاستثنائية وحالة الطوارئ و الفرنسة أجبرت الأهالي على الركوع لسياسة الأمر الواقع، بل جميع هذه المحاولات وجميع الطرق التي جربتها فرنسا لم تزد الإنسان الأوراسي إلا صمودا و قوة في كفاح مرير و طويل توج بثورة أول نوفمبر.

الملاحق

الصور

الخرائط

الملحـــق (1):

أسماء المناطق التي اجتاحها الجراد

14 ماي 1868

جهة باتنة

أسماء القبائل المحتاجة	المساحات التي غطاها الجراد مقدرة بالهكتار	الخسائر الحاصلة مقدرة بالمجرات (الزويجة)	القبائل المهددة
الأخضر حلفاوي	5.600	30	————
أولاد شليح	1.000	10	تلاتس
حراكتة المعذر	50	3	حراكتة جرينة
أولاد فضالة	3.000	6	زوي
أولاد بوعون	10.000	6	أولاد سيدي علي تاحمات
أولاد سلطان	20.000	15	بني معافة
أولاد سلام	40.000	26	————
أولاد علي بن صابور	20.000	———	————
أولاد عبدي	10.000	3	————

عبد الحميد زوزو،المرجع السابق، (نصوص ووثائق) ص: 114.

الملحق (2) يمثل مراسلة بين قائد دائرة تبسة واللواء الناحية العسكرية لولاية باتنة العسكرية حول قضية الربا.

الملحـــق (2)

حضرة اللواء

لقد أرسلتم إلي مع بريد **14** من الشهر الجاري بعض الملصقات الإعلانية الصادرة عن الولاية العامة و التي تعلن للملأ عن تشكيل لجنة مكلفة بإجراء تحقيق حول انتفاضة الأوراس .

و أنه من المحتمل ياحضرة اللواء ، بصفتكم عضوا في هذه اللجنة أن تطلب منكم معلومات عما يجري في النواحي العسكرية الخاضعة لقيادتكم، و لذلك أعتقد أنه من واجبي أن أحدثكم عن هذه المسألة .

تشير الجرائد الخاصة بالإقليم إلى تزايد الربا الذي راح ضحية أهالي ناحية باتنة العسكرية و تجعل منه أحد الأسباب التي نشطت الثورة ، و لكن لا داعي للتأكد و من غير بحث في القدر الثابت من هذه الإشارات ، على أن الربا يشكل في الوقت الراهن قرحة إجتماعية و خطرا جديا على مستقبل المستعمرة و بالفعل فكيف لنا أن لا نتوقع غضب شعب بكامله أشتد به القنوط وأحاط به الدمار يوم تنتهي عملية تجريده من رزقه؟. ففي السنة الماضية، لما بلغتني المصائب الناجمة عن التعامل بالمال من الأهالي و الأوربيين ، عملت على جمع الملومات عن موقف كل طرف .

و هذا و إن القوائم التي أبعث بها إليكم كانت قد وضعت على عجل في سنة **1878** و هي تقريبا لا تمثل حتى العشر مما إستدانته العرب، و يكون إجراء تحقيق هو السبيل الوحيد لمعرفة الحقيقة بالرغم من أن أولى نتائجه تكون مثيرة للناس ما أكثر هؤلاء ممن يتعاطون تلك الصنعة المخجلة و ها هي أسماء المرابين الرئيسيين في الدائرة العسكرية .

-باكري

-روزاريو

-كامبون

-بلعيش بلاليمي

-بالقاسم إبن الحاج

-محمد بن ونيس

عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر **1830-1900**) ص ص: **121** ، **122** ، **123** .

أما المال فكانت نسبة فرضه **10**% لمدة ثلاثة أشهر بفائدة ضمنية مما يشكل سنويا نسبة **50**% وهي نسبة يمكن وصفها من غير خوف بالربوية ولئن كانت المعلومات التي أوردتها ناقصة كثيرا فهي كافية لأن تكشف لكم عن خطورة الوضع الذي زاده إنعدام المحاصيل الزراعية خلال سنتي **1878** و **1879** كأنه وأن الضر قد تفاقم من سيء إلى أسوأ.

والعربي بحكم قلة اقتصاده وقلة تحسبه للعواقب، وعدم اكتراثه بالغد يري في الاستدانة السلامة وفي أجلها لمحدود أمدا طويلا لا ينقضي فهو لا يتردد والحالة هذه في قبول العروض المفلسة التي يقترحها عليه مستغلوه.

وهل يقوم القياد من جهتهم بتقديم القروض؟

الجواب لا. ذلك أن من المتعذر على ثلاثة منهم تقديم تسبيقات نظرا لفقرهم أما الاثنان الآخران الأوفر حظا من الثروة فما أبعدهما عن هذا الصنف من المضاربين.

والخلاصة أن شر الربا يرجع تاريخ ظهوره في الدائرة العسكرية إلى بضع سنين فقط ولكنه يكون بناء على الدلائل التي ذكرتها لكم قد ارتفع بسرعة وفي إمكانكم يا حضرة اللواء أن تتنتفعوا كما يبدوا لكم من رسالتي هذه وان كانت سرية فهي غير كاتمة، واني على استعداد إذا تحتم الأمر تزويدكم بمعلومات أكثر شمولا ودقة بواسطة تحقيق جدي، غير أن إجراء بحث من هذا القبيل من شأنه أن يثير غضب كثير من الأشخاص الذين وإن نددوا بالربا علانية فهم لا يكفون عن اتخاذه كوسيلة للعيش فمن الضروري إذن وحتى تكون في مأمن من غضبهم، إصدار أمر بإجراء تحقيق شامل على مستوى الأقاليم الثلاثة.

وتفضلوا بقبول، يا حضرة اللواء، ما أكنه لكم من عميق الاحترام

إمضاء

قائد دائرة تبسة العسكرية

عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (نصوص ووثائق) ص ص. **121**---><**124**.

أما المال فكانت نسبة فرضه **10%** لمدة ثلاثة أشهر بفائدة ضمنية مما يشكل سنويا نسبة **50%** وهي نسبة يمكن وصفها من غير خوف بالربوية ولئن كانت المعلومات التي أوردتها ناقصة كثيرا فهي كافية لأن تكشف لكم عن خطورة الوضع الذي زاده إنعدام المحاصيل الزراعية خلال سنتي **1878** و **1879** كأنه وأن الضر قد تفاقم من سيء إلى أسوأ.

والعربي بحكم قلة اقتصاده وقلة تحسبه للعواقب، وعدم اكتراثه بالغد يري في الاستدانة السلامة وفي أجلها لمحدود أمدا طويلا لا ينقضي فهو لا يتردد والحالة هذه في قبول العروض المفلسة التي يقترحها عليه مستغلوه.

وهل يقوم القياد من جهتهم بتقديم القروض؟

الجواب لا. ذلك أن من المتعذر على ثلاثة منهم تقديم تسبيقات نظرا لفقرهم أما الاثنان الآخران الأوفر حظا من الثروة فما أبعدهما عن هذا الصنف من المضاربين.

والخلاصة أن شر الربا يرجع تاريخ ظهوره في الدائرة العسكرية إلى بضع سنين فقط ولكنه يكون بناء على الدلائل التي ذكرتها لكم قد ارتفع بسرعة وفي إمكانكم يا حضرة اللواء أن تتنتفعوا كما يبدوا لكم من رسالتي هذه وان كانت سرية فهي غير كاتمة، واني على استعداد إذا تحتم الأمر تزويدكم بمعلومات أكثر شمولا ودقة بواسطة تحقيق جدي، غير أن إجراء بحث من هذا القبيل من شأنه أن يثير غضب كثير من الأشخاص الذين وإن نددوا بالربا علانية فهم لا يكفون عن اتخاذه كوسيلة للعيش فمن الضروري إذن وحتى تكون في مأمن من غضبهم، إصدار أمر بإجراء تحقيق شامل على مستوى الأقاليم الثلاثة.

وتفضلوا بقبول، يا حضرة اللواء، ما أكنه لكم من عميق الاحترام

إمضاء

قائد دائرة تبسة العسكرية

عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (نصوص ووثائق) ص ص. **121**---><**124**.

الملحـــق (3):

شكوى من أولاد داود إلى لجنة التحقيق

في **27** جويلية **1879** الحمد لله وحده

إلى سعادة السيدي دريكتور جنرال، رايس حاكم الكبير متاع الكوميسيون الباحثون في شأن النفاق جبل أوراس السلام عليك وعلى جميع مجلسك وبعد يكون بتشريف عملكم، ونتا لازال علينا الكلام أخر[1] سنذكره لكم، وان في شهر مارس المنصرم سنة التاريخ[2] قد أكل منا رغما أربعماية راس ضانية **400** وكذلك المعيز ماية راس **100** زاد عشرون صاع برا **20** وبعد (أن) وقع ذلك الفساد أتت الحملة ونزلت بموضع المدينة(.....؟) إلي الربع وبخلوطهم[3] نزلوا القش ورغم تلك البغال[4] وجود أرباب البغال حتي صاروا عريانا وذلك الشيء صار في فرقة أزحاحفة.

---

(1) كلام أخر (زيادة على ما ذكر أمام لجنة التحقيق).

(2) السنة الجارية (سنة الحوادث).

(3) بوصلهم وأخذت منهم تلك البغال رغما عنهم.

(4) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق (ثورة الأوراس **1879**) ص: **75**.

الملحق(4):

الخسائر البشرية خلال العمليات القتالية:

مكان المعركة	الحمام	الغاصر	وادي الطاقة	الأرباع	وادي أم العشرة	تيغنامين	وادي نورسن+تيزوغافين	المجموع
عدد القتلى والجرحى من المواطنين	ـــــ	10 قتلى	7 قتلى	112 قتيلا ع الجرحى غير معروف	34 قتيلا	53 قتيلا 21 امرأة و14 طفلا	عدد القتلى غير معروف	
عدد القتلى والجرحى من القوات الاستعمارية	قتيل واحد جريح واحد	11 قتيلا 8 جرحى	15 قتيل	5 قتلى 10 جرحى	ـــ	غ معروف	إصابة 9 فرنسيين بجروح	
عدد الأسرى من القوات الاستعمارية	ـــ	أسير واحد	أسيران	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	

التجريد من الأسلحة:

كانت أولى الخطوات التي أقدمت عليها القوات الفرنسية لمنع المواطنين من القيام بأي رد فعل.

القبيلة	أولاد داود	بنو بوسليمان	بنو أوجانة	المجموع
عدد القطع	1000	625	80	1705

(1)عبد الحميد زوزو المرجع السابق (ثورة الأوراس 1879) ص ص: 50-51.

الملحـــق (5):

مصادرة الأراضي وقد تمت حسب الجدول الآتي:

القبيلة	أولاد داود	بنو بوسليمان	بنو وجانة	المجموع
المساحة	**464** هكتار	غير معروف		بدون تعيين

غرامات مالية في شكل تعويضات لخسائر الحرب

القبيلة	أولاد داود	بنو بوسليمان	بنو وجانة	المجموع
المبلغ	20756570 فرنك	135495 فرنك	120100 فرنك	20904165 فرنك

مصادرة الثروة الحيوانية وقد اشتركت في نهبها الطوابير العسكرية والقياد

القبيلة	أولاد داود	بنو بوسليمان	بنو وجانة
طابور خنشلة	استولى على 2236 رأسا بين شياه وأبقار وأفراس لأولاد داود وبن بوسليمان		غير معروف
طابور بسكرة	استولى على 5500 رأس منها 100 بقرة و40 عجلا هي كذلك لأولاد داود وبنو بوسليمان		غير معروف
طابور قسنطينة	استولى على 5000 رأس جميعها لأولاد داود.		غير معروف

(1) عبد الحميد زوزو المرجع السابق (ثورة الأوراس **1879**) ص ص: **49-50**.

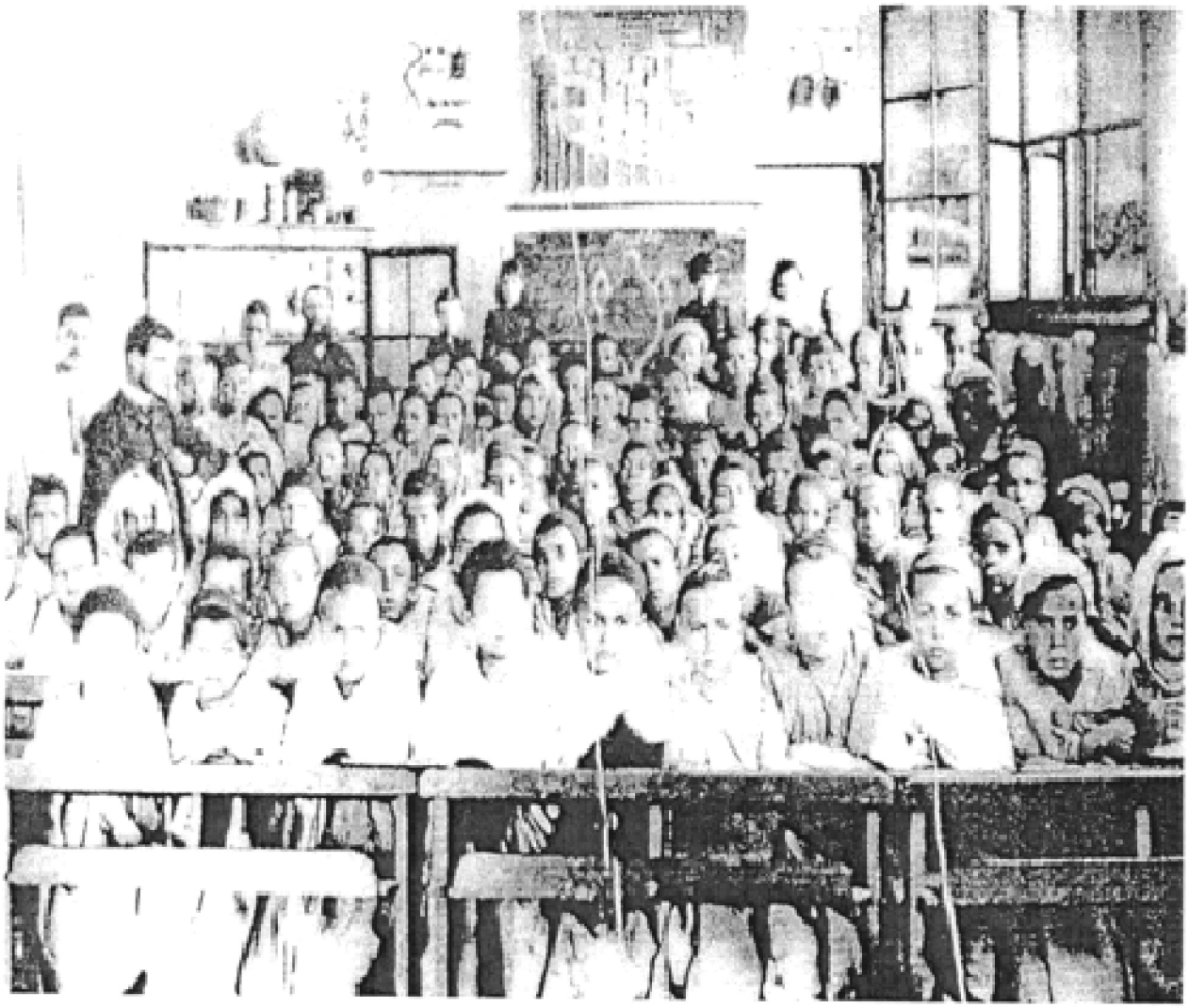

التعليم الأهلي

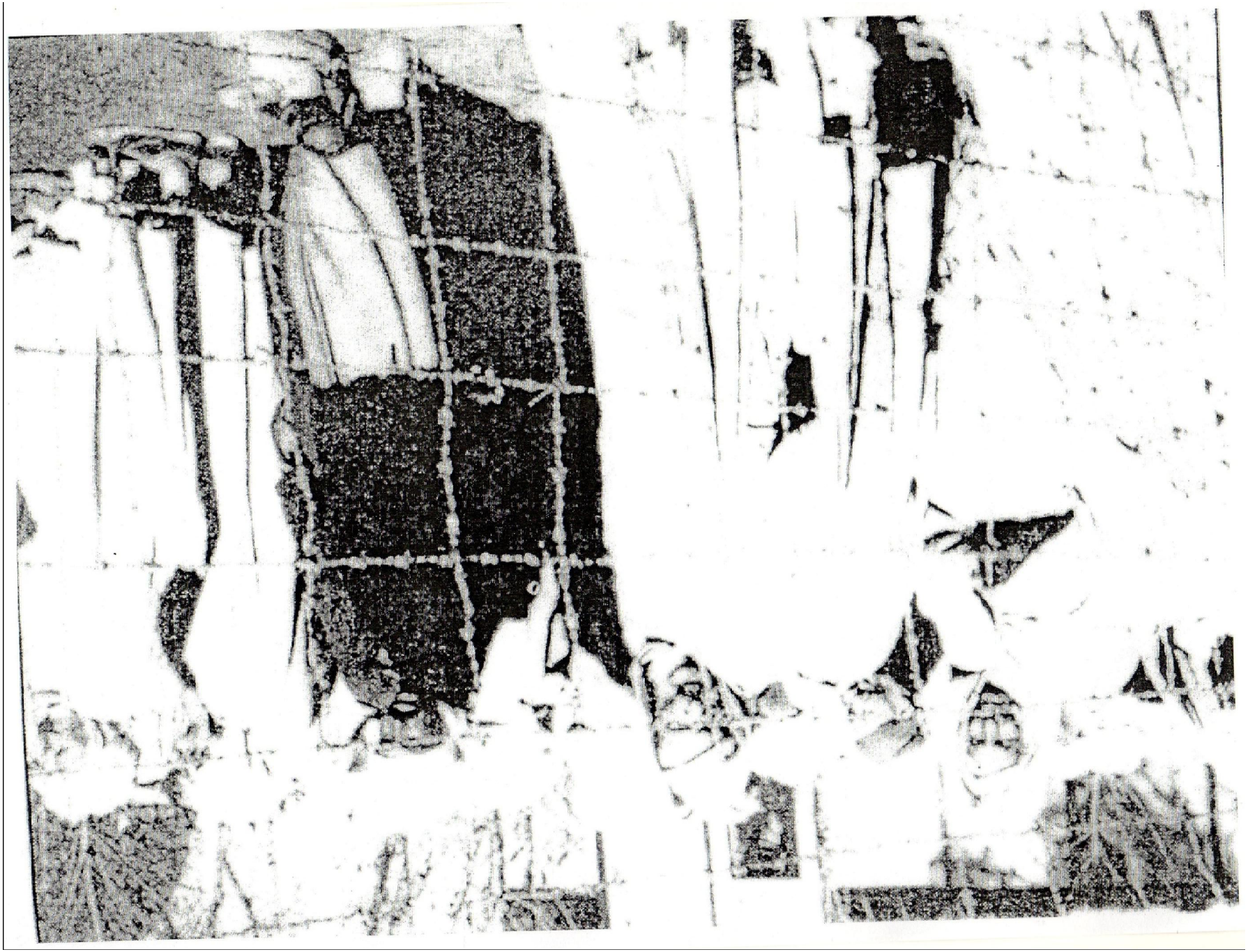

معركة مشونتر في مارس 1844 والتي قاوم فيها السكان
بكل الوسائل المتاحة

بلدية خنشلة الممتزجة

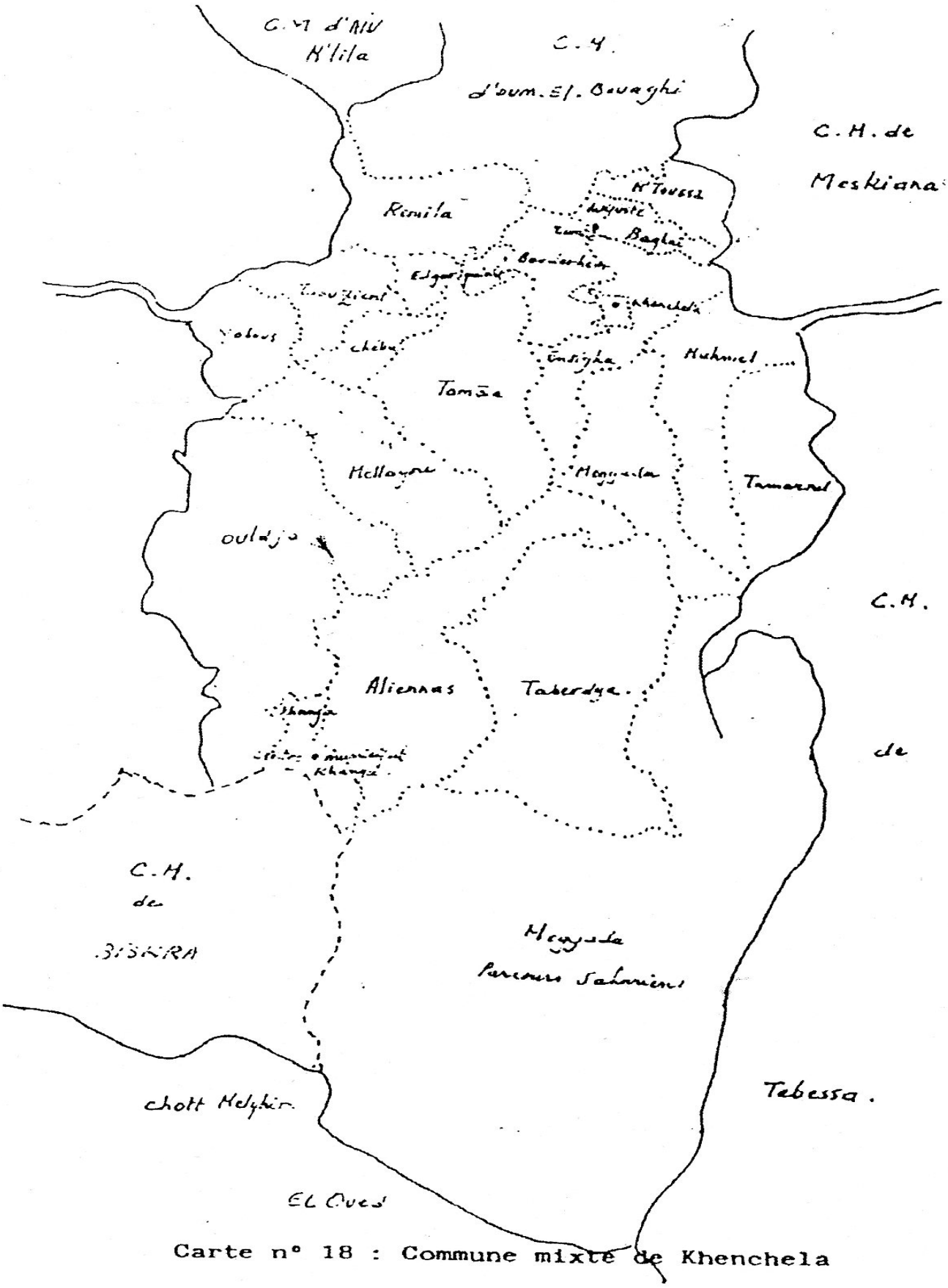

Carte n° 18 : Commune mixte de Khenchela

خريطة تمثل الطرائق الدينية ومختلف الزوايا في سنة 1939

ثورة سنة 1871 بناحية الأوراس

اعمـــال السخـــرة

قائمة

المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولا: الكتب العربية:

1- إسماعيل محروس حلمي: تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر من الكشوف الجغرافية إلى قيام الوحدة الإفريقية،ج1، دط، المؤسسة الجامعية، 2004.

2- إنتاج جمعية أول نوفمبر في الأوراس: تاريخ الأوراس نظام التركيبة الاجتماعية و الإدارية في أثناء فترة الاحتلال من (1837_1954) د ط، باتنة، دار الشهاب.

3- إنتاج جمعية أول نوفمبر في الأوراس: ثورة الأوراس 1335هـ/1916،د ط، باتنة:(1426_1926).

4- بهلول محمد بلقاسم حسن: القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر تحديده و دمجه في الثورة الزراعية،د ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985.

5- بوعزيز يحيى: ثورات القرنين التاسع عشر و العشرون،ج1،د ط،الجزائر، دار البصائر للنشر و التوزيع.2008.

6- بوعزيز يحيى: ثورات القرن العشرين، طبعة خاصة، الجزائر،دار البصائر للنشر و التوزيع، 2008.

7- بوعزيز يحيى: كفاح الجزائر من خلال الوثائق،د ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

8- بوعزيز يحيى: موضوعات و قضايا،ج1،د ط ،الجزائر، دار الهدى، 2004.

10- بوعزيز يحيى: سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية(1830_1954) دط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

11- بوضرساية بوعزة و آخرون: الجرائم الفرنسية و الإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19،طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة التحرير 1954، 2007.

12- جمال قنان: التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاحتلال(1830_1844) طبعة خاصة بوزارة المجاهدين بمنشورات المركز الوطني للدراسات و البحث،د س.

13- زوزو عبد الحمـــيد: ثــورة الأوراس.1879،الجزائر،موفم للنشر، 2010.

14- زوزو عبد الحميد: نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر المعاصر(1839_1900)،د ط، الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984.

15- سعد الله أبو القاسم:الحركة الوطنية الجزائرية(1900_1930)ج2،ط1 بيروت، دار الأدب، 1956.

16- عباد صالح: الجزائر بين فرنسا و المستوطنين(1830_1930) د ط، الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية،قسنطينة،د س.

17- عثماني مسعود: أوراس الكرامة أمجاد و أنجاد،د ط،دار الهدى، الجزائر، 2008.

18- ملاخسو الطاهر: نظام التوثيق في ظل التشريعيات العقارية بالجزائر(1830_1962)،العقار في الجزائر،د ط، د س.

الكتب المترجمة

1- آجرون شارل روبير: الجزائريون المسلمون و فرنسا(1871_1919) ترجمة مسعود حاج مسعود،ج1،د ط،الجزائر، دار الرائد للكتاب 2007.

2- آجرون شارل روبير: الجزائريون المسلمون و فرنسا(1871_1919) ترجمة مسعود حاج مسعود،ج2،د ط، الجزائر، دار الرائد للكتاب.

3- آجرون شارل روبير: تاريخ الجزائر المعاصر سلسلة "زدني علما" ترجمة عيسى عصفور،ج2، بيروت، منشورات عويدات باريس، 1982.

4- آجرون شارل روبير: الجزائر الجزائرية من نابليون الثالث إلى ديغول باريس 1980.

5- الحاج باي أحمد: مذكرات الحاج أحمد باي، ترجمة الدكتور العربي الزبيري،ط1، الشركة الوطنية للنشر، 1981.

6- جغلول عبد القادر: الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سلم قسطون،ط1، بيروت، 1984.

7- زوزو عبد الحميد: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي(1837_1939)، ترجمة مسعود حاج مسعود،ج1، دار هومة، الجزائر2005.

8- زوزو عبد الحميد: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي(1837_1939)، ترجمة مسعود حاج مسعود،ج2، دار هومة، الجزائر2005.

9- فافرور شارل أنري: الثورة الجزائرية، ترجمة كابوية عبد الرحمان و سالم محمد،د ط، الجزائر،2010.

10- لوكورعزانسيزون أوليفي: الاستعمار، الإبادة، تأملات في الحركة و الدولة الاستعمارية ترجمة،نورة بوزيدة،د ط، الجزائر، دار الرائد،2008.

المجلات و الجرائد

1-بوعزيز يحيى: أضواء على انتفاضة سكان الزعاطشة و الشيخ بوزيان عام 1849، ، مجلة الثقافة،الجزائر، العدد 32 (أفريل_ماي)1976،ص39.

2- زبادية عبد القادر:"تلخيص كتاب حكمة المعانم" لثورة 1859_1860 مجلة الأصالة،قسنطينة، وزارة الشؤون الدينية، العددان 60_61_1976 ص 207.

3- هلال عمار: ثورة الأوراس 1916، مجلة المجاهد الأسبوعية، العدد 1162(21 نوفمبر 1982) ص 40.

المصادر الأجنبية

1-Adolphe Jourdan, Revue Africaine, Bulletin Des travaux (de la société historique algérienne) N : 37, libraire Editeur, Ben aknoun(Alger) 1893.

2- Charles A. Julien «Histoire de l'Algérie contemporaine», (1827_1871) Paris 1964.

3- Henri Garrot, Histoire générale de l'algerier(Paris 1910).

الفهرس

الفهرس

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة

المبحث الأول:بداية الاحتلال والمقاومة 1844:.....01

أ-بداية الغزو:.....03

فتحام الواحة:.....19

د- معركة نارة 1850 :.....21

المبحث الثالث: إنتفاضة 1858:.....23

أ-أسباب الانتفاضة : 24

ب- بداية المواجهة : 26

ج- نهاية المواجهة واستسلام المقاومين : 27

المبحث الرابع: مشاركة الأوراس في انتفاضة 1871 : 31

أ- بداية المقاومة والتمرد : 32

ب- نهاية المقاومة والقضاء على المقاومين : 36

ج- نتائجها على المستوى الشعبي : 37

المبحث الخامس: ثورة الأوراس 1879: 38

أ- أسباب الثورة:.....39

ب-إندلاع الثورة وأهم أحداثها.....45

ج-مرحلة الهجوم الفرنسي لرد الحركة:.....50

د- نهاية الثورة والعقوبات الفرنسية:.....55

المبحث السادس: ثورة الأوراس 1916:.....57

أ- أسباب الإنتفاضة ودوافع قيامها:.....59

ب- بداية الثورة:.....64

ج- نهاية الثورة وآثارها على السكان:.....74

الفصل الثاني: التأثيرات الإجتماعية والإقتصادية والإدارية:.....79
المبحث الأول:التأثيرات الإجتماعية:.....80
أ_ سياسة الإفقار والتهجير:.....80
ب_ المجاعة والأوبئة:.....82
ج_ الإقتراض والربا:.....87
د-الزوايا والتعليم الأهلي:.....93
المبحث الثاني: التأثيرات الإقتصادية:.....99
أ- الصناعة والتجارة:.....103
ب- جباية الضرائب واغتصاب الأملاك:.....105
ج-مصادرة الأراضي:.....108
د- قوانين الغابات:.....112
المبحث الثالث: السياسة الإدارية في الأوراس غداة الاحتلال:.....113
أ / مرحلة الحكم العسكري:.....114
ب)- إنحصار نفوذ الحكم العسكري:.....118
ج- الإدارة المدنية:.....121
د- أوضاع السكان في البلديات المختلطة:.....123
الخاتمة:.....131
الملاحق.....132
قائمة المصادر والمراجع
الفهرس
الحملة الأولى: (محاولة اقتحام الأوراس من الجنوب).....05
الحملة الثانية (اقتحام الأوراس من الشمال) :.....06
المبحث الثاني: مساهمة سكان الأوراس في إنتفاضة الزعاطشة 1849:.....15
-أ- إنطلاق الثورة :.....17
ب/مساهمة الأوراسيين:.....18